Journal al-Muqaddimah. Vol. 6(1). Jan-Jun 2018. 62-105

Hizb Al-Tahrir: Founding And Determinants Of Cultural And Political Discourse

حزب التحرير الإسلامي التأسيس ومحددات الخطاب الثقافي والسياسي

Wael Herodz [1]
Ahmad Faisal Abdul Hamid [2]

Abstract

Hizb ut-Tahrir, which was founded in 1953, is considered one of the most controversial Islamic political parties in terms of its cultural and political ideas. Although more than 60 years have passed since the founding of the party, the academic studies on the party are still few compared to other Islamic parties. This study aims at filling a gap in terms of the history of the party's march, based on primary sources close to the founders and then clarifying the most important cultural and political ideas of the party, depending on the primary sources published by the party during his career. This study tries to put the reader close to the party from the historical point of view, which contributed to the emergence of the party and then the basis of the methodological culture adopted by the party and finally the political foundations under which the party works to develop political analysis issued by its members and then to society.

Keyword: *Hizb Tahrir, Pslamic politic, Determinants of Cultural*

ملخص الدراسة:

يعتبر حزب التحرير الذي تأسس عام ١٩٥٣م واحدًا من أكثر الأحزاب الإسلامية السياسية إثارة للجدل من ناحية أفكاره وأطروحاته الثقافية والسياسية، وعلى الرغم من مرور أكثر من ٦٠ عامًا على تأسيس الحزب إلا أن الدراسات الأكاديمية التي تناولت الحزب لا تزال قليلة مقارنة بغيره من الأحزاب الإسلامية، من هنا جاءت هذه الدراسة لتعمل على سد ثغرة من ناحية التأريخ لمسيرة الحزب اعتمادًا على مصادر أولية قريبة من المؤسسين ثم توضيح أهم أطروحات الحزب الثقافية والسياسية اعتمادًا على المصادر الأولية التي نشرها الحزب خلال مسيرته. هذه الدراسة تحاول أن تضع القارئ بالقرب من الحزب من الناحية التاريخية التي ساهمت في نشأة الحزب ثم الأسس الثقافية المنهجية

[1] PhD candidate in Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Kuala Lumpur. Email: waelh889871@gmail.com
[2] Senior Lecturer and his supervisor in in Department of Islamic History and Civilization, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Kuala Lumpur. Email: faisal@um.edu.my

التي يعتمدها الحزب وأخيرًا الأسس السياسية التي بموجبها يعمل الحزب على وضع تحليلاته السياسية التي يصدرها لأفراده ثم للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإسلام السياسي، حزب التحرير، تقي الدين النبهاني، الفكر السياسي، فلسطين

المقدمة:

ظهر حزب التحرير في مرحلة تاريخية حافلة بالأحداث المؤثرة والتي كان لها ما بعدها، وكانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م وما شكلته من بداية صعود المشروع الصهيوني، نقطةَ تحول مهمة في وعي النخب العربية والإسلامية تجاه قضايا الأمة وما آلت إليه، وبدأ حراك عام في الأمة يحاول أن يضع تصوراً للنهضة واستعادة الأرض والإرادة. وبذلك كانت النكبة حدثا تأسيسياً لحقبة جديدة في جل الدول العربية، فإثر الهزيمة بدأ حراك على المستويات المختلفة يسعى للبحث في سبب الهزيمة ويسعى للتغيير مستغلاً الحدث، وخلال تلك المرحلة المهمة أواسط القرن العشرين وبين كل التراكمات الحزبية والسياسية التي كانت تعيشها فلسطين والأمة ظهر حزب التحرير الذي حاول أن يميز نفسه بين كل تلك التكتلات "السياسية" الإسلامية وغيرها، ثم قام بوضع تصورٍ كاملٍ حول مفهوم "الدولة الإسلامية" وطريقة إدارتها، وحول الواقع وتغييره ضمن نظرية محددة ومؤصَّلَةٍ وفق منهج "شرعي" مبنيٍّ على النصوص التأصيلية من ناحية والتجربة الإسلامية في الحكم والإدارة من ناحية أخرى، وقد بدأ الحزب منذ اللحظة الأولى لاشتغاله بشؤون الأمة السياسية بوضع رؤيته وتصوره لحل مشاكلها السياسية خصوصاً ومحاولة تأصيلها وتحليلها وفق أدواته الخاصة.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح طبيعة الأثر الذي تركته أحداث بداية القرن العشرين من تفكك الدولة العثمانية وإعلان إلغاء الخلافة و نكبة فلسطين وطبيعة تفاعل الحركات الوطنية والإسلامية الفلسطينية معها على النخبة الإسلامية وما أفرزته من حراك إسلامي داخلي أدى إلى بلورة فكر حزب التحرير وإنشائه، بالإضافة إلى توضيع العوامل الذاتية المرتبطة بالمؤسسين كدراستهم في جامعة الأزهر في ممصر وأثر تلك المرحلة في بلورة فكر الحزب بمختلف جوانبه، كما ستوضح الدراسة معالم الخطاب السياسي لحزب التحرير تجاه القضايا التي برزت على الساحة الفلسطينية خلال الفترة قيد البحث، وفي هذه النقطة يركز البحث على وضع محددات حول تصورات القاضي الفقيه للسياسة وكيف أثر هذا الجانب الشخصي على مواقفه السياسية بالإضافة إلى وضع تصور عام لمحددات الخطاب السياسي لحزب التحرير تجاه القضايا المختلفة، وتوضيح ملامح الخطاب السياسي لحزب التحرير. هذا

بالإضافة إلى ربط هذه الكليات بالتفاصيل التي تعامل معها الحزب في المسألة الفلسطينية حيث سيوضح البحث طبيعة المواقف التي عالجها الحزب في المسألة الفلسطينية وكيف أثرت رؤيته الفقهية والسياسية في مواقفه ورؤيته.

وستعتمد هذه الدراسة بشكل أساسي على المنهج التاريخي الوصفي من أجل جمع الصورة التفصيلية عن تاريخ الحزب في فلسطين وعلاقاته مع المحيط وقبل ذلك عوامل وأسباب النشأة.

ومن أهم الدراسات التي اعتمد عليها أغلب الباحثين في تاريخ الحزب كانت دراسة: عوني جدوع العبيدي ، حزب التحرير الإسلامي عرض تاريخي دراسة عامة، تقديم وتعليق: عبد العزيز الخياط وآخرون(الرياض: دار اللواء للصحافة والنشر،١٩٩٣) . وتعد هذه الدراسة الصغيرة أكثر دراسة تناولت نشأة الحزب وتاريخه معتمدةً على مصادر "أولية" كمقابلات مع مؤسسين من الحزب وروايات قريبة من المصادر الأولية وتفاصيل عن حياة المؤسس النبهاني، ولكن دراسته تفتقد إلى الكثير من التفاصيل التي تعين الباحث على فهم طبيعة الواقع الذي نشأ فيه الحزب والمؤثرات التي أثرت في نموه وطريقة تفاعله مع المجتمع حين نشأته بالإضافة إلى عدم التعريف بالأعضاء المؤسسين بشكل كافٍ والتركيز على شخصية النبهاني على الرغم من مركزية أدوار العديد من الأعضاء في تلك المرحلة، وهي عموماً دراسة صغيرة تعتمد على جمع الروايات دون النظر فيها بشكل عميق.

كما جاءت دراسة: هشام عليوان. الشيخ تقي الدين النبهاني داعية الخلافة الإسلامية. (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٩). كأحدث الدراسات التي حاولت أن تستوعب ما كُتِب سابقاً عن الحزب وتضعه في قالب جديد في صياغة لتاريخ الحزب عبر تحديد ملامح تاريخ مؤسسه النبهاني ولكن الكتاب لم يأت بجديد على صعيد المصادر الأولية بل استوعب ما كتب في "بعض" المراجع السابقة وركز على زاوية التحليل العام لشخصية النبهاني ومواقفه من القضايا المختلفة والحركات والأحزاب الأخرى ومقدار التأثير والتأثير بها وأفكاره التي وضعها في الكتب التي حملت اسمه.

يتناول هذا البحث بالتوثيق والتحليل ثلاث قضايا أساسية. أولًا: عوامل ومبررات تأسيس حزب التحرير وفي هذا المبحث أتناول الظروف الموضوعية التي أدت إلى تأسيس حزب التحرير والتي أحاطت بحياة المؤسس النبهاني. وفي المبحث الثاني أناقش الأساس النظري الذي يقوم عليه حزب التحرير من حيث أبرز أفكاره ومبادئه وأهدافه. أما المبحث الثالث فأناقش فيه أسس ومحددات الخطاب السياسي عند الحزب وطبيعة المرتكزات التي ينطلق فيها الحزب في نظرته إلى عالم السياسة داخليا ودوليًا.

عوامل تأسيس حزب التحرير

في الثالث من آذار عام ١٩٢٤م أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء منصب الخليفة العثماني، بعد سنوات من التمهيد القانوني والإداري لذلك. بعد أن ظهرت خلال تلك الفترة حالة من النقاش الفكري الفقهي الواسع حول واقع ومفهوم "الخلافة" وامتد النقاش من عاصمة الخلافة العثمانية (الأستانة)[٣] إلى الولايات التي كانت خاضعة لحكمها مرورًا بالمفكرين المسلمين والعرب الذين انتشروا في أوروبا والبلاد العربية والهند.[٤]

خلال هذه الفترة المفصلية في تاريخ الأمة والعالم تحديدًا عام ١٩٠٩م وُلِد تقي الدين يوسف النبهاني[٥]، في قرية إجزم قضاء حيفا، لأسرة قروية متدينة. وكان جده لأمه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (١٨٤٩-١٩٣٢م) فقيهًا صوفيًا عمل في التدريس والقضاء، جدُّ النبهاني هذا أقام في فلسطين والأستانة والموصل ولبنان والحجاز وله آثار مكتوبة كثيرة ويعرفُ عنه دفاعه الكبير عن دولة الخلافة العثمانية ورفضه حركة الإصلاح التي قادها جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، ويبدو أن للشيخ يوسف النبهاني أثر كبير في حياة النبهاني الحفيد وميوله الأدبية كذلك وتوجهه لاحقًا إلى إكمال دراسته في مصر عام ١٩٢٨م حيث كان جده يوسف قد أقام فيها ٦ سنوات أثناء دراسته في الأزهر.[٦]

---

[٣] أصدر المجلس الوطني التركي –الذي أعلن لاحقًا إنهاء الخلافة الإسلامية–وثيقة "الخلافة وسلطة الأمة" عام ١٩٢٢م والتي كتبها مجموعة من العلماء الأتراك وضَّحوا فيها أن الخلافة مسألة فرعية وأن الحكومة مسألة دنيوية تابعة لواقع الناس وتجاربهم وفي الوثيقة نقاش مفصل لمسألة الخلافة وواقعها في التاريخ الإسلامي وتطبيقاتها الزمنية، وقد نقلها إلى العربية عبد الغني سني بك السكرتير العام لولاية بيروت ومتصرفية اللاذقية ونشرت في كتاب عام ١٩٢٤.أعاد نشرها حديثًا. كوثراني، وجيه، **الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا دراسة ونصوص**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٠٩–٢٤٨.

[٤] ظهر النقاش في العديد من المجلات والصحف التي كانت تصدر في مطلع القرن العشرين كان على رأسها مجلة المنار لرشيد رضا المدافع عن فكرة الخلافة مع ضرورة تجديدها وقد تم جمع المقالات في كتابه الخلافة أو الإمامة العظمى. وفي جانب آخر مجلة المقتطف التي حاولت تعزيز فكرة القومية العربية والاستقلال. ثم كتاب علي عبد الرازق ومن تابعه في ضرورة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية، بالإضافة إلى كتاب مهم أصدره: عبد الرزاق السنهوري هو فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية يطرح فيه نظرة أكثر عمقًا في الموضوع ضمن النقاش الدائر حينها. وقد نشر بعض هذه النصوص وقدم لها. كوثراني، وجيه، **الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا دراسة ونصوص**، مرجع سابق. ينظر أيضًا لمزيد من التوضيح رؤية علي الطنطاوي لمصر إبان زيارته لها في عام ١٩٢٨م ويتحدث عن طبيعة الصراع الفكري الذي كان قائمًا فيها. الطنطاوي، علي، **ذكريات**، السعودية، دار المنار للنشر، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص٢٥٩–٢٦٠.

[٥] يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة أعلام الزركلي وفيات عام (١٩٧٦–١٩٩٥م)**، بيروت، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٢، ص٩٢–٩٣.

[٦] مناع، عادل، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠–١٩١٨م)**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٤، ٢٠٠٨، ص٣٤٩–٣٥٢.

انتقل النبهاني للدراسة في مصر -عام ١٩٢٨م- والتي كانت حينها بؤرة للصراع الفكري بين فريقي التقليد والتجديد. وفي أزهرها دارت أعتى النقاشات العلمية والفكرية بين علماء وأدباء ومثقفين كان لنقاشاتهم أثرها على مسيرة الفكر العربي-الإسلامي حتى اليوم. يصف الداعية السوري علي الطنطاوي الذي سافر من الشام إلى مصر في نفس العام الذي سافر فيها النبهاني تلك الفترة فيقول: "في تلك الأيام كانت الدعوة تتمخض في مصر، لتأتي بمولود جديد، وكان ظهور كتاب الشعر الجاهلي ومن قبله كتاب الإسلام وأصول الحكم مثل أجراس الإنذار، وصيحات التحذير، فنبهت النائمين من العلماء والمصلحين"[٧].ثم يذكر الطنطاوي مسألة مهمة وهي بداية ظهور التجمعات الإسلامية ويذكر منها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الخيرية وأخيرًا يتحدث عن الجمعية التي يصفها "بالدعوة المنظمة الحقيقية" جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا عام ١٩٢٨م، وهو كما يقول: ما كان له أعظم الأثر في لفت انتباهه إلى فكرة تأسيس العمل الجماعي الإسلامي المنظم الذي لم يكن معروفًا في الشام.[٨]

وفي ذات السياق ذكر كامل العسلي في دراسة مسحية أجراها بأن ٩٦ من أصل ٢٤٠ عالمًا من علماء فلسطين قد تلقوا تعليمهم في الأزهر في الفترة ما بين القرن العاشر حتى الرابع عشر الهجري[٩]، كما ترجم عادل مناع في كتابه أعلام فلسطين أواخر العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨م لـ٤٥ عالمًا من خريجي الأزهر، أما المدارس فأشار عادل مناع إلى أن الفلسطينيين كانوا يدرسون في الأزهر أو دمشق أو الأستانة وقد كان الأزهر أرقى تلك المدارس بنظر الدارسين[١٠] "واستمر الأزهر مركزًا جذابا لطلبة العلم من فلسطين في القرن التاسع عشر حتى صار معظم المجاورين في رواق الشام بهذا المعهد من الفلسطينيين. فمن بين ٢٢٢ طالبا مجاورا بالأزهر عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م من بلاد الشام عموما كان ١٣٥مجاورا من فلسطين"[١١].

ولذلك نرى بأن النخبة ذات المرجعية الإسلامية التي شاركت في العمل السياسي الفلسطيني خلال القرن الماضي كانت في معظمها -كما ذكرت- من خريجي الأزهر على رأسهم الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، وغيره الكثيرون من العلماء الذين قادوا العمل السياسي الفلسطيني في مناطقهم. ومنهم كانت لجنة قيادة حزب التحرير التي صاحبته عام ١٩٥٦ وهم النبهاني وعبد القديم زلوم وأسعد بيوض التميمي، إضافة إلى العديد من القيادات والأعضاء الأزهريين الذين انضموا إلى الحزب في تلك الفترة.

---

[٧] الطنطاوي، علي، **ذكريات**، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٦.

[٨] الطنطاوي، علي، **ذكريات**، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٩] العسلي، كامل، **التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثالث، بيروت، ١٩٩٠ ، ص ٢١ .

[١٠] مناع، عادل، **النخبة المقدسية علماء المدينة وأعيانها**. حوليات القدس، العدد الخامس ربيع ٢٠٠٧، ص ٢٣-٢٤.

[١١] مناع، عادل، **النخبة المقدسية علماء المدينة وأعيانها**، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

لم يتوقف نشاط النبهاني السياسي وهو في مصر، يظهر ذلك بمشاركته في التوقيع على إحدى الرسالة التي وردت إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين والتي تحتج وتطالبه بوقف مؤتمر المبشرين الذي كان سيعقد حينها في بيت المقدس عام ١٩٢٨م. في هذه الرسالة نقرأ الواقع السياسي في فلسطين في تلك المرحلة، فـ(الأزهريون الفلسطينيون يحتجون لفخامتكم على...) وهو الخطاب السياسي للنخبة الفلسطينية حينها والتي كانت ترى –في مجملها– أن بريطانيا قوة الأمر الواقع والتي ستستجيب للمطالب الفلسطينية العادلة.[١٢]

عاد النبهاني من مصر إلى فلسطين في مرحلة بالغة الحساسية حيث كانت فترة الثلاثينات من القرن العشرين من أشد الفترات حساسية وصراعًا في تاريخ الشعب الفلسطيني ابتداءً من ثورة الشيخ القسام وصولًا إلى الثورة التي امتدت ١٩٣٦-١٩٣٩م.

"...تشير بعض الدراسات أيضا إلى نشاط النبهاني قبيل حرب عام ١٩٤٨، من خلال العمل في ميدان التوعية والتثقيف الجماهيري عن طريق الخطب والمحاضرات والندوات، والحديث في مسألة بيع الأراضي لليهود، والدور البريطاني تجاه القضية وغيرها من القضايا التي كانت النخبة الفلسطينية المثقفة تعمل على توعية المواطنين تجاهها في تلك المرحلة، ولم يكن المعلم ثم القاضي (النبهاني) بمعزل عن قضايا وطنه بحكم مكانته ومكانه، ويبدو أن النبهاني تحرك في إطار هذه المجموعة كما تحرك غيره من القضاة والعلماء والسياسيين من أجل توفير السلاح للقتال في فلسطين من خلال سفره إلى سوريا فمصر، ولكنه عاد من رحلتيه بنتيجة أخبر بها وجهاء اللد والرملة حينها: (العرب باعوا فلسطين). إضافة إلى ذلك، تظهر بعض الروايات أن النبهاني عمل مع القائد العسكري الفلسطيني حسن سلامة، كما رافق القائد الفلسطيني عبد الحليم الجولاني، وتشير بعض الروايات أيضا إلى أنه جلس إلى الشيخ عز الدين القسام الذي كان يثني على خطب النبهاني. هذا كله في سياق وطني عام اضطلعت به النخبة الفلسطينية حينها، من قضاة وعلماء حاولوا أن يكون لهم دور في الدفاع عن القضية الفلسطينية."[١٣]

و يظهر أنه وبعد عودته أيضًا من مصر نشط في العمل الاجتماعي من خلال عضويته في جمعية الاعتصام في حيفا التي كان يرأسها الشيخ نمر الخطيب. كما عمل في سلك التعليم ثم القضاء وترقى فيه فلقد: "عمل الشيخ في سلك التعليم الشرعي في دائرة المعارف حتى سنة

[١٢] احريز، وائل، **تقي الدين النبهاني.. سيرته السياسية قبل تأسيس حزب التحرير**، مقال منشور على موقع عربي٢١ بتاريخ ٢٠١٦/٤/٥. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٦/٨/٦. http://cutt.us/fpCYv

[١٣] احريز، وائل، **تقي الدين النبهاني.. سيرته السياسية قبل تأسيس حزب التحرير**، مقال منشور على موقع عربي٢١ بتاريخ ٢٠١٦/٤/٥. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٦/٨/٦. http://cutt.us/fpCYv

١٩٣٨م"[١٤] ثم عمل في مدينة الخليل معلمًا في مدرسة الخليل الثانوية منذ عام ١٩٣٨م[١٥] وعمل أيضًا معلمًا في الرملة[١٦] وحيفا، ولا بد أن العمل في ميدان التعليم يُعطي ميزات كثيرة في ميدان العلاقات الاجتماعية فقد كان المعلم في المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة ذو مكانة اجتماعية مقدَّرة كونه يعمل في حقل التربية الذي يصبُّ في صالح الأسرة والمجتمع، ولذلك ليس مستغربًا أن تكون مدينة الخليل لاحقًا هي المدينة التي احتضنت حزب التحرير وكان فيها العدد الأكبر من أعضاء الحزب بما فيهم الأمير الثاني للحزب "عبد القديم زلوم" والأمير الثالث الحالي عطاء خليل أبو الرشته، فالمعلم -غالبًا- في حالة كونه غريبًا عن المدينة يسعى في اكتساب أكبر قدرٍ من العلاقات الطيبة مع محيطه الاجتماعي حتى يستطيع أن يواصل عمله بهدوء، بالإضافة إلى توطد العلاقة بينه وبين طلبته، كما تتعزز العلاقة أيضًا مع أسرةَ الطالب كاملة وتصبح على علاقة بالمعلم في ظل مجتمع مغلق ومتشابك ومبني على قاعدة صلبة من العلاقات العائلية والتجارية. والتي ظهر أن النبهاني قد استثمرها لاحقًا في تأسيس حزبه والدعوة إليه في "المسجد الإبراهيمي" في مدينة الخليل.

بالإضافة إلى مسألة العلاقات فإن التعليم يُكسب الإنسان عمومًا صفة القطع والحسم في آرائه -غالبًا-كونه يتحدث أمام طلبه صغار لا يدركون ولا يستطيعون مناقشة رأي المعلم بعمق في الغالب. وإلقاء الأوامر دون معارضة، فهي صفة لازمة للمعلم غالبًا لأنه ملزم بتطبيق النظام وتأطير الطلبة به ولذلك يعتاد المعلم مهما كان متسامحًا على إلقاء الأوامر دون معارضه وتنعكس هذه الحالة كثيرًا على علاقته بمن حوله جميعًا كلما طال به أمد التعليم ما لم يتدارك هذا الأمر.

أمر آخر أفاده النبهاني من عمله في ميدان التعليم وهو اطلاعه عن قرب على المناهج التعليمية في المدراس ولاحقًا في الكلية الإبراهيمية في القدس ثم الكلية العلمية الإسلامية في عمان التي عمل فيها بين (١٩٥٠-١٩٥٢م) ولذلك نراه يتكلم ويحمل كثيرًا على مناهج التعليم في كتاباته ويراها معولًا من معاول الهدم في الجيل والأمةً: "وأكثر الثقافة في البلاد العربية أقرب إلى الثقافة الاستعمارية منها إلى الثقافة العربية للخطأ المتعمد بالتثقيف في الطريقة والزمن."[١٧]

---

[١٤] عوض الله، طالب، **بزوغ نور من المسجد الأقصى**، نص مذكرات مخطوط حصل عليه الباحث من المؤلف عبر الإيميل محفوظ نسخة عند الباحث مرتب ترتيب خاص. عوني جدوع العبيدي، **حزب التحرير عرض تاريخي ودراسة عامة**، عمان، دار اللواء للصحافة والنشر، ١٩٩٣م، ص٤٨-٥٢

[١٥] **مذكرات يعقوب اللحام**. مخطوط مذكرات محفوظ عند الباحث مرتب ترتيبًا خاصًا.

[١٦] يذكر الشيخ فتح الله السوادي أنه كان زميلًا له في مدرسة الرملة البيضاء في مدينة الرملة عام ١٩٤٥، وكان زميله فيها أيضًا الشيخ داود حمدان أحد أبرز مساعدي النبهاني في تأسيس حزبه. السلوادي، فتح الله، **رجال لقيتهم**، تحقيق: عوني فارس وخليل حامد، عمان، أروقة للدراسات والنشر، ص١٢١.

[١٧] النبهاني، تقي الدين، **رسالة العرب**، ١٩٥٠م. وهي رسالة نشرها النبهاني عام ١٩٥٠م قبل تأسيسه لحزب التحرير مكونه من ١٢.

ترك النبهاني التعليم المدرسي وانتقل لمزاولة القضاء الشرعي، ويؤكد الشيخ عبد العزيز الخياط أن انتقال النبهاني للعمل في القضاء كان نابعًا من كون القضاء في تلك الفترة كان خارج هيمنة الانتداب بالإضافة إلى أنه كان يؤمّنُ دخلًا أكبر من التعليم[١٨] وكما هو الحال في عمله في ميدان التعليم فإن العمل في ميدان القضاء قد أفاده في معرفة الواقع القضائي واهتمامه به في كتاباته المؤسسة للحزب وتنقله للعمل بين المدن (الرملة، طبريا، حيفا، الخليل[١٩]، القدس) وهو ما أعطاه سعةً في بناء العلاقات مع فئات المجتمع المختلفة، وتعطينا الروايات التي ذُكِرت عن النبهاني ملمحًا مهمًا من ملامح شخصيته وهي الشدة والحزم والدفاع الشديد عن رأيه كما تشير شهادة الشيخ فتح الله السلوادي زميله في مهنة التعليم حيث يقول:" كان الشيخ تقي الدين يطرح فكرته ويتحمس لها ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة منطق ومضاء لسان."[٢٠]. أما أعمال النبهاني الكتابية خلال فترة الانتداب فقد وقفت له على مقالة تحت عنوان "الحياة الأدبية في فلسطين "[٢١] ومقال آخر "هجرة سيد البشر"[٢٢] فقط.

في نهاية الأربعينات وبعد النكبة الفلسطينية التي هزَّت أركان الأمة الإسلامية والشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨م، تنازعت الساحة الفلسطينية في تلك الفترة عدة جهات سياسية وحزبية في الفترة التي تلت النكبة وقد توزعت كالآتي: أتباع الهيئة العربية العليا بقيادة الحج أمين الحسيني، الحزب الشيوعي في الأردن وقطاع غزة، حركة القوميين العرب التي أسسها جورج حبش ومن معه، حزب البعث العربي الاشتراكي، جماعة الإخوان المسلمين، ولاحقًا حزب التحرير، وبدايات لظهور حركة فتح.[٢٣]

---

[١٨] العبيدي، عوني جدوع، **حزب التحرير عرض تاريخي ودراسة عامة**، مرجع سابق، ص١١.

[١٩] الشهادات التي اطلعت عليها تؤكد عمل النبهاني في مدينة الخليل منها شهادة الحاج محمد توفيق من بلدة (سعير) قضاء الخليل حيث يقول:" **عرفت الحزب (حزب التحرير) سنة١٩٥٣م، حيث كنت منذ صغري ذا ميول إسلامية، فقد كان والدي رحمه الله، مأذون وإمام لقرية سعير، وأذكر قصة حصلت مع والدي رحمه الله والشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله، حيث أخطأ والدي رحمه الله لسبب بسيط في دفتر المأذون، وكان الشيخ قاضيا شرعيا في مدينة الخليل... . فقام رحمه الله بسحب الدفتر من والدي لمدة. كان رحمه الله صارما حازما.**" مقابلة تمت معه في شهر تموز لعام ٢٠٠٦م. منشورة على موقع " http://cutt.us/SwaOq" وقد حصلت عليها من السيد طالب عوض الله عبر الإيميل مرتبة ترتيب خاص بالباحث.

[٢٠] السلوداي، فتح الله، **رجال لقيتهم**، مرجع سابق، ص١٢١.

[٢١] **مجلة الرسالة**، ج ١٤٧، ص ٥٠ –٥١. وهي مقالة تحاول أن تضع تصورًا لواقع الأدباء في فلسطين حيث يقسمهم إلى مدرسة الشيوخ والشباب ويضع ملامح عامة لكل مدرسة ويظهر في النص قوة النبهاني الأدبية وانتصاره لتيار الشباب الذي درس في مصر ورجع، بعد سوء الحال الذي أنتجته أفعال الأتراك الاتحاديين في محاربة اللغة العربية ونتائج الانتداب البريطاني والحرب العالمية الأولى على فلسطين.

[٢٢] **جريدة الجامعة الإسلامية**، العدد ٥١٥. ١ محرم ١٣٥٣هـ الموافق ١٥نيسان ١٩٣٤.

[٢٣] أبو صقر، فخر، **الحركة الوطنية الفلسطينية من الكفاح المسلح إلى دولة منزوعة السلاح**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م، ص١٣٧.

وللنبهاني في تلك الفترة رسالتان منشورتان رسالة العرب وإنقاذ فلسطين، وبعيدًا عن الإسراف في تحميلهما أكثر مما تحتملان حول فكر الرجل وتوجهاته القومية والإسلامية فإنني أشير بشكل عام إلى مضمونهما وأهم ما يمكن أن نخرج من قراءتهما من انطباعات تمَّ تجاوزها لاحقًا بما سطَّره النبهاني واعتمده ضمن إطار حزبه، ولكن الرسالتان بالإضافة إلى نشاطه السياسي العام قبل تأسيس الحزب[٢٤] تعطيان صورة جيدة عن منحنى التطور الفكري الذي رافق النبهاني.

لم يستخدم النبهاني عبارة الأمة الإسلامية في رسالة العرب مطلقًا وهو يكرر في رسالته عبارة الأمة العربية أكثر من أي شيء آخر، ولكننا نراه يركز في حديثه على ثلاثة خطوط أولها: أن الأمة العربية أمَّة واحدة تحمل كل معطيات الوحدة والاتساق. الثاني: أن هذه الأمة يجب أن تحمل رسالة الإسلام وترفض الشيوعية الشرقية والرأس مالية الغربية التي ثبت فشلها وأهدافها الاستعمارية. الثالث: أن التعليم هو الأساس الذي يجب أن ينطلق منه العمل في إعادة تأصيل وتثبيت المفاهيم العربية الإسلامية التي سعى الغرب في تغييرها من أجل تغريب الجيل.

ويظهر من رسالته تأثره بشكل واضح من جهة المصطلحات والأفكار بالخطاب العروبي. ويظهر أيضًا من رسالته وجود مكونات ومؤثرات مختلفة عليه تجعله مثلًا يشيد بتجربة محمد علي في التحديث في نفس الوقت نراه يحمل حملًا شديدًا على الدول الغربية -خصوصًا بريطانيا التي يصفها برأس الكفر- والتي سعت في تغريب المنهاج وفتح المدارس التبشيرية، ويستخدم النبهاني مصطلحًا استمر معه لاحقًا وهو التغيير الانقلابي وهو بذلك كان كما يبدو في مرحلة بلورة فكره بصورته التي ظهرت بوضوح مع إنشاء حزب التحرير حيث استبدل لاحقًا الأمة العربية بالإسلامية وأبقى على فكرة التغيير الانقلابي الشامل ثم أصبح أكثر تشددًا في ضرورة العودة إلى التراث الإسلامي وأصوله من أجل تحقيق مشروعه.[٢٥]

النبهاني القاضي الشرعي خريج الأزهر لم يذكر في رسالته آيةً واحدة ولا حديثًا واحدًا ووضع تصورًا للواقع بشكل شامل مبني على الفكر المبني على التأمل الفلسفي للواقع حيث وضع مقدمة بنى عليها رؤية ونتائج ووضع اقتراحات للحل بناءً على منطق فكري ذاتي دون استخدام للنصوص أو استشهاد بشيء من التراث الإسلامي وهو ما يؤكد على مركزية الخطاب الفكري العقلاني عنده والذي سنلاحظه أثناء قراءتنا لتراث النبهاني كله.

غير أننا لا نستطيع أن نقول من خلال هذه الرسالة أن النبهاني كان يحمل مبادئ القومية العربية ويدعو إليها بقدر ما أنها كانت مرحلة من مراحل تطوره الفكري، هذا ولم يثبت معي ما

---

[٢٤] حول نشاط النبهاني السياسي قبل تأسيس حزب التحرير ينظر: احريز، وائل، **تقي الدين النبهاني.. سيرته السياسية قبل تأسيس حزب التحرير**، مقال منشور على موقع عربي٢١ بتاريخ ٢٠١٦/٤/٥. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٦/٨/٦.
http://cutt.us/fpCYv

[٢٥] النبهاني، تقي الدين. **رسالة العرب**، مرجع سابق.

يشير إلى انتمائه إلى أي حزب أو جمعية تحمل المبادئ القومية أو غيرها، يؤكد هذا النص الذي ذكره الشيخ فتح الله السلوداي في مذكراته حين تحدث عن نقاشات دارت أمامه بين النبهاني ومجموعة من المعلمين أثناء عمله معلمًا في الرملة وهي فترة مبكرة جدًا خلال عمله في التعليم وتؤكد تلك النقاشات أن فكرة الخلافة الإسلامية كانت فكرة مسيطرة على تفكيره ولكنها كانت تحتاج إلى مزيد من التبلور من أجل تحويلها إلى فكرة عملية. يقول النبهاني في معرض نقاشه لفكرة الرابطة الوطنية: "ومتى كانت الوطنية رباطًا يفرض قوته ويذعن له كل المواطنين؟ فقلت: أينكر أحد أن الوطنية رباط ... ورباط قوي؟ قال الشيخ: لا لم أنكر أنها رباط ... ولكنها رباط قد تجد عليه خارجين ".[٢٦]

ويقول في مكان آخر –حسب رواية السلوادي-: "لا ينكر عاقل أن القومية والوطنية في الحروب تذكي المشاعر، وتبعث على جسام التضحيات، ولكنهما رباط ينقصه الشمول، كما قد يعتريه الوهن، فكثير من الناس أمام مصلحته الشخصية تهون لديه الرابطة الوطنية والقومية."[٢٧] وفي بيانه للرابطة الصحية وموقفه من الرابطة القومية يقول: "نعم، هذه هي الرابطة الحقة الرابطة التي تتكفل بتحويل الأمة من حال إلى حال ولا رابطة تعلوها، هي رابطة العقيدة، العقيدة الإسلامية. فقال أحد الأخوة: أنلغى الرابطة الوطنية والقومية!؟ فقال أبو إبراهيم: لا، إنهما ستبقيان روافد تصب في مجرى الأمة الموحدة. وتوائمان معها في إطارها، ولكن العقيدة هي الرباط الشامل الأقوى."[٢٨]

وفي معرض نقاش آخر يتحدث فيه النبهاني عن فكرة الخلافة الإسلامية وضرورة إعادتها يقول: "ولن يكون ذلك ممكنا حتى تستأنف الحياة الإسلامية استئنافا حقيقيا، ومن هنا كان إلغاء منصب الخلافة أكبر طعنة وجهت إلى المسلمين، وإلى الشرق بكل أديانه وشعوبه"[٢٩]... "إن الغرب المستعمر أدخل إلى روع الأمة، ولا سيما المسؤولين فيها أن استئناف الحياة الإسلامية (بعبع) مرهب، ورجعية بغيضة، ويستجيب المستضعفون مع الأسف، وفي الحق، لا إنقاذ لأمتنا إلا باستئناف الحياة الإسلامية استئنافا صادقا".[٣٠]

فكرة وحدة الأمة وإقامة الخلافة ليست فكرة جديدة حتى نقول أن النبهاني قد ابتدعها فقد ذكرنا في المقدمة أنها كانت مثار نقاش واسع على مستوى الأمه ومثقفيها خصوصًا بعد إعلان إلغائها عام ١٩٢٤م، والمفروض أن الطالب الأزهري قد خاض تلك النقاشات وحملها من وإلى فلسطين وقد زاد من حدةِ هذه الأفكار والحاجة إليها استشهاد الشيخ القسام الذي كان له

[٢٦] السلوادي، فتح الله. **رجال لقيتهم**. مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٧.
[٢٧] السلوادي، فتح الله. **رجال لقيتهم**. مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٧.
[٢٨] السلوادي، فتح الله. **رجال لقيتهم**. مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٧.
[٢٩] السلوادي، فتح الله. **رجال لقيتهم**. مرجع سابق، ص١٢٧.
[٣٠] السلوادي، فتح الله. **رجال لقيتهم**. مرجع سابق، ص١٢٨.

دور ونشاط كبير في حيفا مدينة النبهاني وقد ذكر الشيخ السلوادي -وروايته هنا مهمة لأنه كان قريبًا من النبهاني- ذكر عن النبهاني قوله: " وهو أحد تلامذة القسام "[٣١]. ولذلك فإن معاصرة النبهاني لاستشهاد القسام ثم فشل الثورة الفلسطينية (ثورة ١٩٣٦م) التي عاصرها النبهاني، ومعايشته لنكبة فلسطين وفشل الجيوش العربية في التصدي للاحتلال الإسرائيلي وظهور طوية الدول العربية القريبة والتي عاش النبهاني في كنفها. وظهور دورها في تسليم فلسطين والعجز عن حمايتها، كل ذلك كان له أثر كبير على شخصية النبهاني وتبلور خطابه ومروره خلال ذلك بمرحلة عصف ذهني حيث بدأت تتبلور الأفكار بشكل أعمق ويتم التدقيق بالمفاهيم والمصطلحات واعتمادها بشكل أكثر وعيًا ودقةً.

أما كتاب النبهاني الآخر إنقاذ فلسطين الواقع في (١٧٥صفحة) والذي أصدره[٣٢] في كانون الثاني لعام١٩٥٠م فهو كتاب يعطينا صورةً مهمة جدًا عن فكر النبهاني في طريقه نحو تأسيس حزب التحرير، والكتاب يعتبر وثيقة يجب قراءتها من كل مهتم بفكر النبهاني ومراحل تطوره من أجل حكم صحيح عليه وعلى أفكاره التأسيسية النظرية ومصطلحاته الحاكمة لتصوراته.

ما يهمنا هنا الآن مسألتين: الأولى كيف كان أثر النكبة على وعي النبهاني واستجابته الفكرية للواقع حينها، وللإجابة عن هذا السؤال نورد قوله في بداية الكتاب حيث يقول عن النكبة أنها: " من أكبر حوادث التاريخ بوجه عام، والتاريخ العربي بوجه خاص، وهي حدث هام سيكون له أكبر الأثر في حياة الشعوب العربية والإسلامية، لأنها أفظع خطب حلّ بالعرب والمسلمين في تاريخهم الحديث، وأعنف صدمة تلقاها الشرق منذ قرون"[٣٣]. أما كيف عالج النبهاني القضية وما هو الحل الذي يراه لها في ذلك الوقت فإنه يرى أنه: " لا بدّ من الإسراع في معالجة هذه الكارثة...لاتقاء الخطر الحالي، والحيلولة دون وقوع الخطر المقبل، هذا فضلًا عما يحتّمه الواجب، من غسل العار، والأخذ بالثأر، واسترداد الهيبة، حفظًا للحياة ودفاعًا عن الكيان... أنّ كارثة فلسطين، يجب أن تُحدث انقلابًا عامًا شاملًا جميع نواحي الحياة عند العرب، وهذا الانقلاب المنتظر، لا بد من التمهيد له بعدّة وسائل، منها الكتب والمؤلفات، التي تستهدف إيجاد انقلاب فكري صحيح يؤدّي إلى الانقلاب الشامل".[٣٤]

أما عن تحديده للمسؤولية عن إنقاذ فلسطين فإنه يرى:" إن مسؤولية إنقاذ فلسطين لا تقع على فرد بعينه، بل تشمل جميع الشعوب العربية، وإن كانت مسؤولية تنفيذ الإنقاذ بالفعل

---

[٣١] السلوادي، فتح الله، **رجال لقيتهم**، مرجع سابق، ص١٢٨.

[٣٢] "تمّ طبع هذا الكتاب على نفقة مؤسسة اللاجئين في دمشق، وكان مديرها آنذاك الأستاذ نمر المصري، وهي مؤسسة تعليمية تعنى بشؤون التعليم في وكالة الغوث الدولية لأبناء اللاجئين". الساكت، صالح، **مذكراته**، نسخة مخطوطة تقع في حوالي ٢٠ صفحة موجودة نسخة مرتبة ترتيب خاص بالباحث.

[٣٣] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١.

[٣٤] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص٣.

تقع على الدول العربية بالدرجة الأولى، وتقع على الشعوب العربية . ومنها عرب فلسطين . في الدرجة الثانية. هذا بوجه عام. أما بوجه خاص فإن واجب كل فرد من أفراد العرب أن يشعر بمسؤوليته الشخصية في الإنقاذ بأي شيء قادر عليه، باعتباره فردًا، وباعتبار جزءًا من الجماعات، وباعتباره واحدًا من رعايا الحكومات العربية، التي تحمل على عاتقها عبء الإنقاذ، وباعتباره خصمًا عنيدًا للصهيونية والاستعمار"[٣٥]. هنا شكلت النكبة صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني ونخبته المثقفة ومنها النبهاني، أنتجت لديه-كما يظهر من خلال هذا النص- اتجاه واضح لتحديد المسؤولية باتجاهين الأول: حكومات الدول العربية التي كان – كما يبدو- من خطابه معوِّلًا عليها حيث نبهها للخطر وحددها بمصر والسعودية والعراق وسوريا ولبنان والشعب الفلسطيني، ثم نراه يعوِّل بشدة على الشعوب العربية بشكل خاص ومباشر لتحمل العبء في التخلص من الاحتلال لجزء من البلاد العربية قبل أن يتوسع.

يختم النبهاني كتابه بما يسميه الطريق الثاني لتحرير فلسطين وهو طريق إصلاح المجتمع وفي هذا الفصل من كتابه نرى بداية بلورة فكرة الحزب أو "الفئة المختارة" كما يسميها والتي ستجد نفسها وستحمل عبء إصلاح المجتمع وقيادته نحو التحرر والوحدة والاستقلال يقول النبهاني:" لا بد من إعداد الشعب على يد أبنائه، حتى تقوم الحكومة العربية الواحدة، للشعب العربي الواحد، قوية جبارة، بعد استكمال هذا الإعداد."[٣٦]و هو يطلب من الجميع البدء بالعمل الحقيقي للتغيير الشامل ويرفض فكرة انتظار القائد المهدي الذي سيغير الوضع وحده " فلا يجوز أن يركن إلى هذا، وأن يستسلم حتى يأتي الزعيم أو المهدي."[٣٧] بل يجب السير نحو نقطة الانطلاق الصحيح التي يراها:" ونقطة الانطلاق هذه هي ما يجب أن يسعى إليها الشباب والشيوخ، للوصول إلى بدء العمل الصحيح، وهي الكتلة الأولى التي تكون الخلية الأولى بدل الزعيم المنتظر، والمنقذ المنشود. "[٣٨] وهنا تبرز بوضوح دعوة النبهاني إلى تنظيم المجتمع في تكتل يسعى إلى تحريك المجتمع والانطلاق به نحو التحرر والتغيير الشامل بعد أن تثبت هذه الكتلة فعالياتها وتهفو إليها النفوس وتتجمع حولها وتسلمها القيادة حتى تصبح تنظيمًا ضخمًا ثم ينظِّم الأمة حتى تأتي الحكومة الصالحة من الشعب الصالح، وبذلك يتم إنقاذ فلسطين وسعادة الأمة.[٣٩].

---

[٣٥] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١٣٨

[٣٦] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص ١٦٧.

[٣٧] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١٦٨.

[٣٨] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١٦٩.

[٣٩] ينظر: النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١٧٠.

يختم النبهاني كتابه بعبارة غاية في الأهمية يقول:" لهذا كله لا بد من الفئة المختارة التي تكون هي نقطة الانطلاق، ومتى وجدت، فقد أشرقت في الأفق آمال إنقاذ فلسطين، وتحرير الشعب العربي، وأصبح في حيز الإمكان، إقامة صرح السعادة والسلام في الوجود. فلتبحث هذه الفئة عن نفسها، ولتتقدم إلى الإنقاذ."[٤٠] ومن هنا بدأ النبهاني الناحية العملية لتأسيس حزب يكون هدفه الانتقال بالأمة من حال التبعية والهزيمة إلى حالة الوحدة والتخلص من التبعية الغربية بما في ذلك تحرير فلسطين.

نلاحظ في هذا الكتاب العديد من الملامح التي بقيت مسيطرة على فكر النبهاني حيث نراه يكثر من الحديث عن مسالة "نقطة الارتكاز، ونقطة الانطلاق، الانقلاب الشامل" وهي أفكار حافظ عليها بعد تأسيس الحزب بالإضافة إلى فكرة الإصلاح الفكري والكفاح السياسي وغيرها من الأفكار التي أقام عليها النبهاني حزبه لاحقًا، ولكن الغائب الأهم هنا هو "الإسلام" فالنبهاني طوال كتابه يتحدث عن الأمة العربية فقط وكل حديثه عن الفكر والعقيدة والرسالة كان كلامًا عامًا ولم يأت على ذكر البعد الإسلامي أو الخلافة أو دار الإسلام ودار الكفر أو أن فلسطين أرض وقف إسلامي، كما نراه يتحدث بمنطق المصالح حينما يتحدث عن علاقة الدول العربية بالدول الغربية كما يرى أن مسيرة الإصلاح منطلقةً من ذات الشعب الذي سينتج حكومة صالحة وأن انتظار الزعيم الذي سيقلب الأوضاع هو خطأ لا يجب الوقوع فيه، كل هذه الأفكار وغيرها غريبة على طالب من خريجي الأزهر نشأ في بيتٍ تقليدي وقضى حياته في ميدان التربية ثم القضاء الشرعي، ولذلك في الصفحات القادمة سنبحث أكثر عن ملامح انقلاب فكر النبهاني وسبب اختياره لهذا الخطاب وهل تغير لاحقًا أم لا.

عاد النبهاني بعد النكبة إلى القدس وتم تعيينه عضوًا في محكمة الاستئناف الشرعية من الدرجة الرابعة بتاريخ ٨ آب، ١٩٤٩م، وترقيته إلى الدرجة الثالثة في ٢٢ تشرين الثاني، ١٩٥٠م[٤١].

خلال تلك الفترة أيضًا شارك النبهاني في انتخابات مجلس النواب عن مدينة القدس عام ١٩٥١م وهو المجلس الثاني بعد قرار توحيد الضفتين عام ١٩٥٠م، وحصل في هذه الانتخابات على ٢٥٩٦ صوتًا، وكان ترتيبه الرابع وبذلك لم يستطع اجتياز الحسم المطلوب لدخول المجلس حينها.[٤٢]

---

[٤٠] النبهاني، تقي الدين، **إنقاذ فلسطين**، مرجع سابق، ص١٦٩.

[٤١] ينظر: البخيت، محمد عدنان (إشراف)، **الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين: الإدارة الأردنية في فلسطين ١٩٤٨–١٩٥١م**، المجلد السادس، عمان، جامعة آل البيت، ١٩٩٥، ص١٥٦، ٣٤٩– ٣٥١.

[٤٢] سلامة، زياد أحمد، **فقيه من بلاد الشام: عبد العزيز عزت الخياط سيرة فكرية**، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، هامش ص٧٨.

خرج النبهاني بعد ذلك من الضفة الغربية للعمل في الكلية الإسلامية العلمية في عمان لتدريس الثقافة الإسلامية وعمل فيها في الفترة ما بين (١٩٥١-١٩٥٣م)، وكانت تلك الفترة التي أعقبت النكبة –كما يبدو- فترة بلورة فكر النبهاني التنظيمي والسياسي ومشروعه الفكري.

سبق البعثيون والشيوعيون والإخوان المسلمون النبهاني في دخول المجتمع الأردني حيث عملت الأردن في تلك الفترة على ابتعاث الطلبة للدراسة في الخارج فعادوا حاملين أفكارًا وصلاتٍ تنظيمية مع الأحزاب والأفكار والمناهج الغربية للدول التي درسوا فيها، ولذلك لم يكن دخول النبهاني دخولًا يسيرًا على أرض فارغة بل كان مضطرًا إلى التفاعل مع الأفكار التي يراها مسيطرة ولها أتباع في طلبته قادرين على الدفاع عنها أو جعلها أرضية لمنطلقاتهم الفكرية والسياسية.[٤٣]

وسعى النبهاني أيضًا في ميدان مهم وهو التعليم في الكلية العلمية في عمان ليستقطب أكبر قدرٍ من الطلبة إلى فكره الذي بدأ في تلك الفترة يستقر عليه، وصار محتاجًا حوله إلى دعاة لحمل هذا الفكر إلى المجتمع، وصارت محاضرات النبهاني ميدان سجال وخلاف وصراع سياسي بين المعلم النبهاني وطلبته من أصحاب الأفكار والمذاهب الأخرى.[٤٤] ولكن النبهاني كما يسجِّل ذلك الأديب (عبد الرحمن منيف) كان مضطرًا لخفض سقف توقعاته من طلبته خصوصًا المتفوقين منهم لانتمائهم لتيارات فكرية معارضة له، وبذلك صار مضطرًا للبحث عن دعاة خارج الكلية[٤٥] وقد سجل منيف شيئًا من سجالات النبهاني في الكلية حيث كان يركِّز في طرحه على مهاجمة الفكر القومي من ناحية والشيوعي والرأس مالي من ناحية أخرى لينتهي بأن هناك فكرًا واحدًا صالحا للمسلمين بعد أن يثبت لهم أن الغرب ومشاريعه فاشلة وغير قابلة للتطبيق في بلادنا[٤٦]، "فترة الكلية إذن بالنسبة لحزب التحرير، وللشيخ النبهاني، كانت فترة حضانة، إذ استطاع خلالها أن يعرف كيف يفكر الآخرون، وما هي نقاط قوتهم وضعفهم، وما هي الأساليب التي يمكن أن تؤثر أكثر من غيرها"[٤٧].

كان لقاء النبهاني بنمر المصري[٤٨] وداود حمدان[٤٩] في سوريا نقطة الانطلاق الفعلية كما يذكر بشير نافع[٥٠] لتشكيل حزب التحرير حيث أقنع نمر المصري النبهاني بضرورة السعي في تشكيل

---

[٤٣] ينظر: منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط١، ١٩٩٤م، ص٢١١- ٢١٤.

[٤٤] ينظر: منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة**، مرجع سابق، ص٢١٥.

[٤٥] ينظر: منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة**، مرجع سابق، ص٢١٦.

[٤٦] ينظر: منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة**، مرجع سابق، ص٢١٦.

[٤٧] منيف، عبد الرحمن، **سيرة مدينة**، مرجع سابق، ص٢١٧.

[٤٨] نمر عبد الرحمن المصري (١٩١٤-١٩٩٤م) ولد في مدينة اللد، تسلم العديد من المناصب الإدارية لمدراس في عدة مناطق في فلسطين، اعتقلته سلطات الانتداب البريطاني، وكان عضو اللجنة القومية عن اللد، عمل مستشارًا سياسيا للقائد حسن سلامة إبان ثورة العام ١٩٣٦-١٩٣٩م أسس مع النبهاني حزب التحرير وكان عضوًا في لجنة القيادة، ثم خرج من الحزب مع داود حمدان إثر خلافهم مع النبهاني

حزب سياسي قادر على مجابهة الواقع بطريقة منظمة، بعد أن خاضوا جميعًا نقاشات وسجالات مختلفة منذ سنوات عديدة وصلت أخيرًا إلى فكرة إنشاء حزب سياسي بفكر وعمل ومنطلقات واضحة ومختلفة عن كل الأحزاب التي كانت موجودة على الساحة حينها.

تؤكد المصادر أن المصري وحمدان قد كانا عضوين بارزين في جماعة الإخوان المسلمين قبل النكبة، ويظهر من تاريخ المصري عمله الإداري الطويل في مختلف المواقع، أما داود حمدان فتظهر شخصيته من خلال كتابه الذي أصدره الحزب وكان يعتبر من كتب الحزب المعتمدة في التثقيف الحزبي قبل خروجه من الحزب لاحقًا وهو كتاب أسس النهضة[٥١]، وهو كتاب تأسيسي يقدم خلال صفحاته الست عشرة قراءة للواقع وأسلوب تغييره اعتمادًا على التجربة النبوية، ويؤكد حمدان على فكرة التغيير الانقلابي الشامل[٥٢] في أنظمة المجتمع وهو ما أشار إليه النبهاني سابقًا في كتاب إنقاذ فلسطين وكتبه اللاحقة، ومهم هنا الإشارة إلى أن نظرة الرجل إلى التغيير نظرية وتفتقد إلى التعريف بالطريقة العملية الواقعية، فهو يرى أن مراحل التغيير الثلاث هي تثقيف القيادة التي ستقود المجتمع، ثم التفاعل مع الأمة لتفهم مبدأ الإسلام وتكافح في سبيله، وأخيرًا استلام الحكم لتطبيق أنظمة الإسلام والدعوة إليه بدون ذكر آلية واضحة.[٥٣]

هذا الفهم سوف نراه يتطور لاحقًا في جانبه العملي حينما يتم تحديد طريقة واحدة وجعلها جزءًا أساسيًا من خطة سير الحزب في وصوله إلى استلام الحكم وهي فكرة طلب النصرة - التي سوف نتناولها لاحقًا بالتفصيل- ويظهر من تتبع المذكرات التي كتبها رواد الحزب الأوائل أن دور داود حمدان كان مهمًا خصوصًا في الجانب التأصيلي الشرعي للمسائل المطروحة

فيما عرف بأزمة القيادة، استلم رئاسة الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، بالإضافة إلى مناصب أخرى في المنظمة وفي مجالات أخرى متعلقة باللاجئين الفلسطينيين في سوريا التي توفي ودفن فيها. ينظر: فار، مصطفى محمد، **مدينة اللد موقعًا وشهرةً وتاريخًا ونضالًا**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩، ص٣١٣-٣١٤. سلامة، زياد أحمد، **فقيه من بلاد الشام: عبد العزيز عزت الخياط سيرة فكرية**، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، هامش ص٧٨.

[٤٩] ذكرت سابقًا في شهادة عبد الله السلوادي أنه كان معلمًا زميلًا للنبهاني في مدرسة الرملة البيضاء في مدينة الرملة، وهو خريج الأزهر في العقد الثاني من القرن العشرين وعمل محاميًا شرعيًا وشارك في الانتخابات عام (١٩٥١-١٩٥٤-١٩٥٦م) ولكن لم يجتز نسبة الحسم. وكان عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين وعضوًا في جمعية الشبان المسلمين بالرملة وعملَ نمر المصري أمينًا لسر مكتب جماعة الإخوان المسلمين في اللد والرملة. قبل مشاركته في تأسيس وقيادة حزب التحرير ينظر: فار، مصطفى محمد، **مدينة اللد موقعًا وشهرةً وتاريخًا ونضالًا**، مرجع سابق، ص١٠٧. سلامة، زياد أحمد، **فقيه من بلاد الشام: عبد العزيز عزت الخياط سيرة فكرية**، مرجع سابق، هامش ص٧٨.

[٥٠] نافع، بشير، **الإسلاميون**، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات؛ بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠، ص٦٩.

[٥١] يذكر الشيخ صالح الساكت أن: " **هذا الكتاب عبارة عن محاضرة للأستاذ داود في نادي البيرة الثقافي بمناسبة احتفالهم بذكرى المولد النبوي الشريف**.". مخطوط مذكرات الشيخ صالح الساكت موجودة نسخة مرتبة ترتيبًا خاصا لدى الباحث.

[٥٢] حمدان، داود، **أسس النهضة**، بيروت، مطابع دار الكشاف، ط٢، ١٩٥٣م، ص١١.

[٥٣] ينظر: حمدان، داود، **أسس النهضة**، مرجع سابق، ص١٢.

بالإضافة إلى مرافقته الدائمة للنبهاني يذكر محمد العريان أحد رواد الحزب: " ولاحظت أن داود كان ملازما له باستمرار فما كنت أحضر أنا وعباس رحمه الله إلا ونجده عنده وكنا نحضر أحيانا بعد العاشرة فنجده هناك وكان كثيرا ما يقضي الليل عنده وكنت أسمع الشيخ تقي الدين يقول لداود سنقوم الليلة في الثالثة لنقرأ البحث كذا في الكتاب الأم للشافعي أو بحث كذا وكانت تلك الفترات كلها فترات أعداد وتهيئة. "[٥٤] وهذا أيضًا ما يؤكده بشير نافع الذي يعتبر داود حمدان ونمر المصري صاحبا الدور الرئيسي في بلورة موقف النبهاني الإسلامي بعيدًا عن المؤثرات القومية[٥٥].

هذه هي الشخصيات الثلاث التي أسست الحزب ووضعت أسسه الفكرية ورسمت خطَّ مسيره، نمر المصري وهو خطيب مفوَّه ورجل قضى حياته في الإدارة وداود حمدان المعلم والواعظ الأزهري وتقي الدين النبهاني المفكر السياسي صاحب الشخصية الحادة، وثلاثتهم كانوا في الأصل من مدن اللد والرملة وحيفا وهذه وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي عقب النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م، ولذلك كانت نتائجها التي هزت أركان المجتمع الفلسطيني ماثلةً أمامهم وهم يؤسسون حزب التحرير.

كانت الخطة اللاحقة لهذا الحراك الفكري الذي استمر سنوات طويلة -وقد تكون بدأت قبل النكبة على شكل نقاشات بين المؤسسين- ولكنها تبلورت أخيرًا ضمن شكلها الحزبي المنظم الواضح مع طلب النبهاني رسميًا تشكيل حزب التحرير وهو ما قوبل برفض من النظام الأردني وهو ما سنفصله في فصل قادم.

وعلى ما تقدم فإن عوامل متشابكة كانت سببًا أساسيًا في تشكيل حزب التحرير واستقرار توجهاته منها أسباب عامة متعلقة بمشاكل الأمة وعلى رأسها سقوط الخلافة وما تركه في وعي المسلمين من غياب النظام السياسي الجامع، ومنها أسباب مباشرة كالنكبة التي كانت زلزالًا سياسيًا واجتماعيًا أثَّر في وعي الأمة كلها وأبناء فلسطين خاصةً. بالإضافة إلى سيطرة النظام الأردني على الضفة الغربية وفشل كل الأحزاب السياسي القائمة الإسلامية منها وغير الإسلامية في حل المشكلات التي كانت قائمة وعلى رأسها الاحتلال الإسرائيلي أو حتى الدعوة إلى حلها وفق منهج إسلامي سياسي شامل كما كان يراه النبهاني وشركاؤه في التأسيس.

المبحث الثاني: التأسيس النظري لحزب التحرير

[٥٤] مخطوط مذكرات محمد حمدي عبد الرؤوف العريان نسخة مخطوطة مرتبة ترتيب خاص بالباحث، ومذكراته مكونة من حوالي ٢٠ صفحة كتبها عام ١٩٨٥م، في لوس أنجلوس، وهو من مواليد القدس عام ١٩٣١م، ومن الرعيل الأول للحزب.

[٥٥] نافع، بشير، **الإسلاميون**، مرجع سابق، ص٦٩.

لا بد من التأكيد في البداية على أن البحث في مسألة التأسيس النظري عند الحزب من المسائل الشائكة لعدم التزام الحزب بالأسس العلمية المتعارف عليها أكاديميًا سواءً في إحالة النصوص إلى أصولها، أو عزو الكتاب إلى مؤلفه حقيقة، وتغيير عبارات في أي كتاب حتى بعد موت مؤلفه دون أية إشارة إلى هذا التغيير، وهو ما يعتبر من الناحية العلمية تزويرًا ومن الناحية الأدبية كذبًا على المؤلف في حال تغيير كتابه بعد وفاته. ويعلل الحزب ذلك بأن الكتاب أصبح ملكًا للحزب ويجوز له -طالما أن الكتاب صار متبنيًا من الحزب – تغييره والإضافة إليه، وربما كان هذا جائزًا لو تم إزالة اسم المؤلف عنه وجعله من إصدار الحزب فقط.

ويلفت الشيخ عبد العزيز الخياط – أحد الرواد الأوائل في الحزب وفُصِل منه عام ١٩٥٨م - النظر إلى مسألتين مهمتين حول هذا الموضوع: فمن ناحية يؤكد أن المؤلفات كانت في تلك الفترة تطبع باسم النبهاني للضرورة الأمنية بحيث لو كان الاسم المطبوع عليها فقط اسم الحزب لصودرت، ويؤكد الخياط أن الكتب لم تكن تصدر بتبني من الحزب قبل أن يقرأها ويقرَّها النبهاني بنفسه.[٥٦]

وأنا هنا أحاول أن أجمع الروايات المختلفة ممن عاصروا الحزب ودرسوا في حلقاته الأولى لأبين ماهي الكتب الأولى التي صاغت نظرية الحزب وجمعت حوله الأنصار ومن كان مؤلف كل كتاب من هذه الكتب، وما هي أهم الملامح الفكرية التي رسمتها هذه الكتب في العقلية التحريرية.

ومن الجدير ذكره هنا أن الحركات الإسلامية عمومًا اعتادت أن تشتق منهاجها التربوي وتصيغ تصورها الفكري من الكتب الإسلامية التقليدية[٥٧]، وهي تستند دائمًا إلى أصلي القرآن والسنة ثم تنتقل إلى كل ما يعزز قيمة هذين الأصلين من شرحٍ وتدبر وتطبيق لهما بشكل يعتمدهما مباشرة. وبناءً عليه كانت العقلية التحريرية غالبًا عقلية نصية سلفية أصولية تنطلق منه حتى في تفسير الواقع وتحليل العلاقات وحتى في تناول السياسات العامة، بل إن جزءًا من حالة الصراع القائمة بين الحركات الإسلامية مرتبطٌ في كثير من الأحيان بمقدار قرب هذه الحركة من النص وتطبيقه أو آلية تفسيره، بينما نرى النبهاني قد جعل الفكر هو المنطلق الذي يبني به "المبدأ" والذي عرَّفه –أي المبدأ- بأنه (عقيدة عقلية) ثم انطلق من المبدأ في فهم الواقع وتفسيره والبناء عليه، وسعى إلى جعله منهج الحزب في الفهم والتفسير والتحليل والحكم على الواقع.

استخدام الفكر كمنهج لفهم الإسلام، وإعادة صياغة وعي المسلم اعتمادًا على الفكر (العميق المستنير) بحيث يكون هذا الفكر هو آلةً للوصول إلى الحقائق الراسخة هو المنهج الذي حاول

---

[٥٦] العبيدي، عوني جدوع، **حزب التحرير الإسلامي عرض تاريخي ودراسة عامة**، مرجع سابق، ص٢٨.

[٥٧] على سبيل المثال وللمقارنة مع وسائل وأهداف ومناهج التربية عند جماعة الإخوان المسلمين ينظر: محمود، علي عبد الحليم، **وسائل التربية عند الإخوان المسلمين (دراسة تحليلية تاريخية)**، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

النبهاني به صياغة العقلية التحريرية وهو منهجٌ يجعل النصوص الشرعية من قرآن وسنة مرجعيةً لهذا الفكر لا يتجاوزها ولكنه يصل إلى النتائج باستخدام أدوات تفكير عقلية تتخذ من النص مرجعًا للعمليات العقلية وليست هي نقطة البداية في عملية التفكير خلافًا للعقلية السلفية التي تجعل النص هو الأساس الذي تنطلق منه لفهم الواقع وتحليله.

وحزب التحرير اشتقَّ طريقه الخاص بين كل الحركات الإسلامية في اعتماده على التثقيف الحزبي الفكري السياسي فقط دون الاهتمام بالعلوم الإسلامية الأخرى وفي مقدمتها تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب التراث المعتمدة في الفقه والسنن والعقائد، ويوضح هذا النبهاني حين يقول: "على أنه ينبغي أن يُعلم أن هذا التثقيف ليس تعليمًا، وأنه يختلف عن المدرسة اختلافًا كليًا... وأن العلم والثقافة التي تؤخذ إنما يقتصر فيها على المبدأ، وعلى ما يلزم لخوض معترك الحياة، وأن تؤخذ للعمل بها حالًا في معترك الحياة... ولا بد أن يوضع حائل كثيف بين الذهن وبين الناحية العلمية، حتى لا تتجه الثقافة الحزبية اتجاه الثقافة المدرسية العلمية"[٥٨].

بل إن النبهاني يرى في الانتقال من الثقافة والاندفاع نحو التعليم خطرًا: "...ومن الخطر الاندفاع مع الثقافة نحو الناحية العلمية، لأنها تسلب خاصية العمل، وتؤخر الانتقال إلى المرحلة الثانية من مراحله –يقصد مرحلة التفاعل مع الأمة-"[٥٩] فما يهم في عملية التثقيف هو الأثر العملي المباشر، أي ما يفيد الدارس في تكوين ثقافة يستطيع من خلالها مناقشة أصحاب المذاهب والدعوات الموجودة على الساحة وما يفيده كذلك في الدعوة إلى ما يؤمن به الحزب فيما يتعلق بالدولة الإسلامية كما يراها الحزب[٦٠] وهو ما لمسناه عند الحديث عن كتاب نظام الإسلام وكيف كانت فصول الكتاب ردة فعلٍ مباشرةً على الواقع الفكري الذي كان يعيشه المجتمع في تلك الفترة كما سيأتي.

السؤال هنا، طالما أن الحزب لا يسعى إلى تعليم أفراده وإنما يسعى إلى تثقيفهم بمادة فكرية ينطلقون بها نحو العمل، فما هو هذا العمل الذي يتحدث عنه النبهاني؟ فإن كان في زمن النبهاني مجابهة الفكر القومي والناصري والشيوعي فقد اختلفت قيمة هذه الأفكار اليوم ووزنها في الواقع؛ إذن ما هي الحاجة اليوم لكثير من أفكار كتاب نظام الإسلام والتكتل الحزبي وغيره

---

[٥٨] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، من منشورات حزب التحرير (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م، ص٣٧. على سبيل المثال ناقش الباحث جواد بحر النتشة مسألة ضعف حزب التحرير في علم الحديث وأثره في آراء الحزب وفتاواه، وقد أكد الباحث من خلال بحثه وعرض أدلته أنَّ حزب التحرير: "**غير قادر – أصلًا– على تصور علم الحديث، حتى يتَّخذ فيه مذهبًا يخصه** ". كما أثبت مخالفة النبهاني لعدد كبير من القواعد الثابتة عند المحدثين. ينظر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير**، مرجع سابق، ص ١٩١–٢٢٣.

[٥٩] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٤٢.

[٦٠] ينظر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير**، مرجع سابق، ص١٠٣-١٠٤.

من الكتب التي كتبها النبهاني في مرحلة كانت الحاجة إليها مرتبطة بسيطرة التيارات اليسارية الشيوعية والقومية والدعوات الاشتراكية والرأسمالية؟ أما الحركات الإسلامية التي كانت فاعلةً في تلك المرحلة فقد تطورت اليوم على المستوى الفكري والتنظيمي ولم تعد تحليلات النبهاني تنطبق عليها كما كانت. وحديثه أيضًا عن الجمعيات وأساليب الغرب في نشر الثقافة وأثر الفكر والعلاقات الاجتماعية كله اليوم قد تغير تغيرات ظاهرة في ظل نظام عالمي جديد مختلف من حيث الفكر والفلسفة والأدوات وتطورت المعارف والمشاريع الاستعمارية وأدوات التواصل والاتصال إلى حد لا يمكن مقارنته بالفترة التي عاشها النبهاني. فما هي الحاجة لبقاء هذه الثقافة التي يمكن دراستها ضمن سياق تاريخ الفكر وتطوره في بيئتنا ليس أكثر.

ويصرح النبهاني بفكرة أخرى مهمة تدعو إلى أن يكون العمل التثقيفي الحزبي مرتبطًا بالعمل وعدم الاكتفاء بتعليم الأفراد مباحث كلامية إذا لم يعد لها فائدة عملية ولم تعد منطبقة على عالم اليوم. وعلى الرغم من أنه وضع صفاةٍ ثلاث للحزب هي الحيوية والتطور والحركة[٦١] فإننا نرى أن أغلب التغييرات في منهاج الحزب الفكري ليست تغييرات عميقة وأن ما كتبه النبهاني قبل أكثر من ستين عامًا لا يزال هو الحاكم لعقلية الحزب وثقافته.

لم يترك النبهاني أصلي الإسلام: القرآن والسنة أثناء بحثه وإنما هو جعل الفكر هو المركز لنقطة الانطلاق والأرضية التي نشأت عليها الحاجات الأخرى، ويبدو أن ذلك نابع من الخلفية الفكرية والثقافية التي كان يحملها النبهاني قبل إنشاء الحزب فمثلًا: ومن خلال كتابيه رسالة العرب وإنقاذ فلسطين تراه يتحدث حديثًا ضبابيًا حول الإسلام بل تراه يدعو إلى العروبة أكثر من الإسلام[٦٢] ولذلك يظهر بأن منطلقات النبهاني كانت في الأساس فكرية عملية تطورت وتحولت لاحقًا إلى التمسك بمرجعية القرآن والسنة بشكل يتوافق مع تلك العقلية العملية. وقد تكون ناتجة كذلك عن تأثره بالتيارات الفكرية التي كانت سائدةً في تلك الفترة من قومية وبعثية ويسارية وهي أحزاب يحتاج المتابع والمجادل لها إلى قوة عقلية كبيرة بعيدًا عن محاججات النصوص وتأويلاتها. وقد لاحظت خلال البحث كيف كان الكثير من كتاباته التي لا تزال تدرَّس في حلقات الحزب حتى اليوم ردةَ فعلٍ على مناقشة لحظية قام بها النبهاني أو غيره من أعضاء الحزب مع تيارات سياسية وفكرية كانت قائمة في حينه في بيئة الحزب، وهذا ما يجعل العقلية الفكرية لحزب التحرير اليوم تعيش حالة من الاغتراب عن واقعها في الكثير من البلدان الإسلامية التي انتشرت فيها أفكار الحركات الإسلامية ذات النزعة السلفية النجدية والتي تجعل القرآن والسنة الصحيحة هي الأصل الذي تدور حوله أفكارهم.

---

[٦١] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٣٨.

[٦٢] سلامة، زياد أحمد، **فقيه من بلاد الشام عبد العزيز عزت الخياط سيرة فكرية**، مرجع سابق، ص٧٩. والحديث هنا ورد على لسان عبد العزيز الخيّاط.

وحينما ننظر في بناء كتاب "نظام الإسلام" وهو أحد كتب الحزب الفكرية التأسيسية نجد ومن خلال الشهادات المختلفة لرواد الحزب أن أهم أبوابه كانت صياغتها ردة فعل على الواقع الفكري الذي كان سائدًا ففصل (القيادة الفكرية في الإسلام)[٦٣] هو نتاج نقاش حصل بين النبهاني وبين رجل من حزب البعث: " ومن المعلومات التي سمعتها وأنا في القدس أن بحث القيادة الفكرية كان عبارة عن مناقشة جرت بين الشيخ -رحمه الله تعالى- وأحد كبار قادة البعث في القدس، وقد كانت مناقشة طويلة، عاد الشيخ بعدها وكتب ما جرى في النقاش، فكان بحث القيادة الفكرية في الإسلام"[٦٤]. " وكان البحث الثاني -يقصد بحث: الأخلاق في الإسلام[٦٥]- ردّا على طريقة الإخوان المسلمين في الدعوة والعمل."[٦٦] والباب الأول والثاني في نفس الكتاب هما محاولة لتأصيل المفاهيم المتعلقة بالإيمان بالله والقضاء والقدر بمناقشة عقلية، ويظهر أنها كانت استجابة لحالة الإلحاد التي رافقت انتشار الفكر الشيوعي حينها وهكذا هي مباحث الكتب الأولى عامةً. والحزب وعلى الرغم من إجرائه للعديد من التغييرات على كتبه وعلى الرغم من تغير الواقع وخريطة التنظيمات الفكرية والسياسية فإنه لا يزال يحافظ على الهيكل العام لكتبه والتغيير غالبًا ما يكون بالزيادة على النص وليس إنقاصًا من الأصل حتى وإن انتفى السبب الذي دعا إلى جعله أساسيًا في تلك المرحلة.

كتاب نظام الإسلام وهو من أول الكتب التي أصدرها النبهاني وهو يدرَّس في حلقات الحزب حتى اليوم، وهو كذلك أول كتاب يدرسه المنتمي إلى حزب التحرير. صدرت منه الطبعة الأولى عام ١٩٥٣م والطبعة الحالية السادسة المعتمدة عام ٢٠٠١م، وحسب مقارنتي بين الطبعة الحالية المعتمدة والطبعات التي كانت موجودة في زمن النبهاني فإن الطبعات التالية حصل عليها العديد من الإضافات والزيادات غير أن المباحث الأساسية التي وضعها النبهاني لا تزال موجودة في الكتاب الذي تقع طبعته المعتمدة حاليًا في ١٣٦ صفحة، ويحتوي ٨ أقسام أساسية متعلقة بالعقيدة والفكر وأحكام الدولة الإسلامية والنظرة إلى الأخلاق.

بناء العقائد والمسلمات الراسخة غير القابلة للنقاش هو أهم ما يميز هذا الكتاب. والقارئ له سيجد أنه ينتج بناءً صلبًا لعقلية قائمة على قناعات راسخة من خلال أدلة عقلية وأخرى شرعية مختصرة، من دون الإحالة إلى المصادر والمراجع.

---

[٦٣] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م، ص٢٢.

[٦٤] مخطوط مذكرات صالح الساكت، مرجع سابق.

[٦٥] النبهاني، **تقي الدين**، نظام الإسلام، مرجع سابق، ص١٢٩.

[٦٦] مخطوط مذكرات صالح الساكت، مرجع سابق. ويذكر محمد حمدي العريان في مذكرات رواية مشابهة يقول:" **وكان منها موضوع "الأخلاق في الإسلام" والذي كتب على أثر نقاش بين عباس رحمه الله وسعيد رمضان الذي حضر مرة للقدس وألقى محاضرة عن الأخلاق وكان كلما ناقشه عباس في نقطة يقول له: "الأخلاق يا عباس " وكان عباس رحمه الله يردد قوله دائما من باب التفكُّه بضحالة التفكير عند سعيد رمضان.**"

من المسائل الأساسية التي يناقشها الكتاب مسألة القضاء والقدر فبعد تلخيص آراء الفرق الإسلامية المختلفة حول القضاء والقدر، يفرق النبهاني بين دائرتين الأولى وهي الدائرة التي تسيطر على الإنسان من الله خيرًا أو شرًا، وفي هذه الدائرة كان لزامًا على الإنسان أن يؤمن بالقضاء خيره وشره من الله تعالى، أي أن يعتقد أن الأفعال الخارجة عن نطاقه هي من الله تعالى، وأن يعتقد بأن خواص الأشياء الموجودة في طبائعها هي من الله تعالى سواء ما أنتج خيرًا أم شرًا وليس للإنسان المخلوق فيها أي أثر.[٦٧]

أما الدائرة الثانية فهي الدائرة التي يسيطر عليها الإنسان نفسه، ويسير فيها مختارًا ضمن اختياره سواء كانت شريعة الله أو غيرها، وهذه الدائرة هي التي تقع فيها الأعمال التي تصدر من الإنسان أو عليه بإرادته. وبخصوص خاصيات الأشياء وخاصيات الغرائز فهي لا تحدث عملًا في ذاتها بل الإنسان حين يستعملها هو الذي يحدث العمل، فالميل الجنسي مثلا فيه قابلية للخير والشر، لكن الذي يفعل الخير والشر الإنسان لا الغريزة.[٦٨]

فمسألة كون علم الله عز وجل لا يعني إجبار العبد على القيام بالعمل، لأن الله علم أنه سيقوم بالعمل مختارًا، وأما إرادة الله تعالى فإنها لا تجبر على العمل، وإنما هي آتية من حيث أنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، أي لا يقع شيء في الوجود جبرًا عنه.[٦٩]

بعد أن يركز النبهاني فكرة الإيمان بالله تعالى (علاقته بالله) في مدخل الكتاب معتمدًا على الدليل العقلي ثم يوضح نظرته الخاصة في تصرف الإنسان بأفعاله وقضاء الله وقدره واختيار الإنسان (علاقته بنفسه وأفعاله) ينتقل ليضع للإنسان قواعد في مسألة (علاقاته بالآخرين) وعلى أي أساس يجب أن يكون بناء هذه العلاقات، فيتحدث عن الروابط بين أفراد المجتمع ومنها الروابط الفاسدة كالرابطة الوطنية[٧٠] والقومية ورابطة المصلحة، والروحية التي ليس لها نظام.[٧١] ثم يؤكد أن الرابطة الوحيدة الصحيحة هي الرابطة المبدئية وهي العقيدة العقلية التي ينبثق عنها نظام، أما العقيدة فهي فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة، وعمل قبل الحياة وما بعدها. وأما النظام المنبثق عن هذه العقيدة فهو معالجات لمشاكل الإنسان وبيان

---

[٦٧] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص١٦. يناقش الباحث موسى السلمي هذه القضية بالتفصيل لدى النبهاني ويخلص بالقول إلى أن النبهاني لم يحرر موطن النزاع بين العلماء السابقين في مسألة القضاء والقدر واضطرابه فيها ظاهر مع عدم استقراره على أصل واحد في المسألة ينظر: السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، **حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية**، مصدر سابق، ص٢٨٤.

[٦٨] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص١٧-١٩.

[٦٩] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٠-٢١.

[٧٠] يرى النبهاني أن رابطة الوطن موجودة لدى الحيوانات والطير والإنسان وهي متعلقة برد الاعتداء إن حصل وتزول بزواله. النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٢.

[٧١] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٢-٢٤.

لكيفية تنفيذ هذه المعالجات، وبالتالي يخلص إلى أن المبدأ (فكرة وطريقة) على اعتبار أن الكيفية طريقة، والمعالجات فكرة.[٧٢]

وضروري برأي النبهاني حتى يكون المبدأ صحيحا أن يكون صادرًا بوحي الله، وأن تكون القاعدة الفكرية منسجمة ومتفقة مع الفطرة السليمة ومبنية على العقل، وضروري أن تكون الطريقة أمرًا لازمًا وإلا كانت الفكرة فلسفة خيالية فرضية تبقى في بطون الكتب مسجلة دون أن يكون لها أثر في الحياة الدنيا.[٧٣] وعليه فإن النبهاني نظر إلى الأمور كالآتي: الأصل هو العقيدة التي صدرت من الوحي وهي تصورٌ كلي عن الكون والحياة، ينبثق من هذه العقيدة المبدأ وهو العقيدة العقلية الراسخة التي تلزمها بالضرورة وجود طريقة من جنس المبدأ لتنفيذه في الواقع وهو القوانين والشرائع والأنظمة العامة والمفصلة. وعليه (فالعقيدة والمبدأ وطريقة تطبيق المبدأ) كلها كتلة واحدة متصلة بالعقيدة التي تحدد إيمان المسلم أو كفره، وهذا البناء يوضح لنا بجلاء كيف يحمل الدارس في الحزب قناعاته من باب العقائد وهي بالضرورة مسلمات قطعية مرتبطة بالعقيدة تنهدم بهدمها وتقوم بإقامتها.

ومن خلال هذا المنهج الذي يسير مع الدارس في بناء عقليته وثقافته وتفكيره درجة درجة من إثبات وجود الله الذي أنزل الرسل ومعهم الكتاب والمنهاج، الذي يشتمل بالضرورة على طريقة لتنفيذه. يحدد النبهاني ملامح هذه الطريقة ومن سيقوم بتطبيقها بعد غياب النبوة. يقول النبهاني: "ينفذه الفرد المؤمن بدافع التقوى، وتنفذه الدولة بشعور الجماعة بعدالته، وبتعاون الأمة مع الحاكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبسلطان الدولة، وتتولى الدولة شؤون الجماعة، ولا تتولى عن الفرد شؤونه، إلا إذا عجز عنها، ولا يتطور النظام أبدًا، والدولة لها صلاحية تبني الأحكام الشرعية إذا تعددت نتائج الاجتهاد فيها".[٧٤]

بعد ذلك يستخدم النبهاني التاريخ ليثبت عمليًا كيف تم تطبيق هذا الأمر خلال العهود الإسلامية السابقة التي تعتبر عنده نموذجًا للدولة التي ينشدها، ويصدر النبهاني حكمًا عامًا جازمًا بأن المسلمين ظلوا على تطبيق الإسلام كما ينبغي له منذ عهد النبوة حتى عام ١٩١٨م: "ولقد ظل الإسلام يطبق وحده على الأمة الإسلامية بكاملها – عرب وغير عرب- منذ أن استقر عليه الصلاة والسلام في المدينة، إلى أن احتل الاستعمار بلاد المسلمين، فاستبدل به النظام الرأس مالي"[٧٥]. وقد تمثل تطبيق الإسلام كما يرى النبهاني بناحيتين أولاهما: القضاء الذي طبِّق فيه الإسلام طوال العصور الإسلامية، وثانيهما: تطبيق الحاكم للإسلام والذي تمثل

---

[٧٢] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٤.

[٧٣] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

[٧٤] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٧.

[٧٥] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٥٢.

بتطبيق الأحكام الشرعية في ميادين الاجتماع والاقتصاد والتعليم والسياسة الخارجية والحكم.[٧٦] حتى الانحرافات فإنه يجد لها تفسيرًا صارمًا حين يقول: " وبالجملة كان يجري إنفاق المال من الدولة حسب الشريعة، ولم يجر حسب غيرها مطلقًا، وما يشاهد من التقصير في هذه الناحية هو إهمال، وإساءة تطبيق، وليس عدم تطبيق."[٧٧] ويعيد ترسيخ هذا المعنى بصورة أكثر قطعية حين يقول:" إساءة تطبيق الإسلام في بعض العصور تجعل المجتمع الإسلامي منحدرًا بعد الانحدار، ولا يخلو منه أي نظام، لأنه يعتمد في تطبيقه على البشر، ولكن إساءة التطبيق لا تعني أن الإسلام لم يطبق، بل المقطوع فيه أن الإسلام طبق، ولم يطبق غيره من المبادئ والنظم."[٧٨]

ويقع الدارس لهذا الباب على تناقض وقع فيه الحزب من حيث قول النبهاني أن نظام الإسلام –استنادًا إلى التاريخ الإسلامي-كان مطبقًا طوال الفترة بشكل صحيح دون أن يسند رأيه بدراسة حقيقة معمقة لفترةٍ هي أطول بكثير من أن نحكم عليها هذا الحكم العام بسهولة، في نفس الوقت الذي نراه يذم منهجية كتابة التاريخ الإسلامي عمومًا، ولذلك فإنه لا يمكن أن يُبنى عليه ولا يؤخذ به إلا في حال وصلنا التاريخ بروايات صحيحة مسندة تطبق عليها قواعد علم رواية الحديث[٧٩]. فهل رجع النبهاني في التاريخ الإسلامي كله إلى روايات مسندة كما اشترط فخرج بحكمٍ ثابت بأن الإسلام كان مطبقًا طوال هذه العصور كلها؟ وهو نفسه يقول في كتاب الشخصية الإسلامية:" والخلاصة هي أن المسلمين لم يكن لهم باع في التاريخ لا التاريخ الإسلامي ولا تاريخ الأمم الأخرى"[٨٠] ويقول في موطن آخر: " ومن الأخطاء الشائعة ما يزعمه الكثيرون بأن للتاريخ أهمية كبرى في نهضة الأمم وأن معرفة الماضي تلقي ضوءًا على الحاضر وتفتح الطريق للمستقبل وهذا وهم وتخليط... والحق أنه لا يجوز أن يتخذ التاريخ أساسًا لأية نهضة بل ولا لأي بحث"[٨١].

---

[٧٦] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٤٤-٤٥. قارن هذا النص بنص آخر عند الحزب يتحدث عن فساد النظام الإسلامي منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث بدأت توضع أحكام شرعية وقضائية (تعارض قطعي القرآن) كإباحة الربا ووقف الحدود وأخذ شيء من الإسلام وترك آخر. ينظر: **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م، ص٦-٨.

[٧٧] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٤٦.

[٧٨] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٥٢.

[٧٩] حول رأيه في هذه المسألة بالتفصيل ينظر: النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٥٥-٥٦.

[٨٠] النبهاني، تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، بيروت، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٥٤.

[٨١] النبهاني، تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، ج١، ص٣٥٦.

وفي معرض حديثه عن نظام الحكم يصدر حكمًا جازمًا آخر إذ يقول عن نظام الحكم:" ولا يتطور النظام أبدًا "[٨٢]. فهل راجع النبهاني أنظمة الحكم التي ورثها المسلمون عبر ما يزيد على عشرة قرون ليصدر هذا الحكم الصارم؟ وهل صحيح أن المسلمين منذ عهد النبوة وطوال هذه العقود طبقوا الإسلام عقيدة وشريعة ونظامًا واحدًا لم يتطور ولم يتغير[٨٣]؟ وأين حزب التحرير اليوم من الدراسات والأبحاث التاريخية العلمية الرصينة التي أعادت دراسة وقراءة موروثنا التاريخي بكل مكوناته السياسي منها والقضائي والفقهي[٨٤] وكشفت لنا عن تفاصيل كانت غائبة وأثبتت قضايا لم نكن نعرف عنها وثبت من خلالها أن هذه الأحكام التي وضعها النبهاني هي بناء غير دقيق لأحكام تجعل من الدارس في الحزب يعيش في عالم وردي بناءً على ما تلقاه من تصور غير صحيح لتاريخ الأمة؟!

ومن المسائل التي أفرد لها النبهاني مساحة للتأصيل موضوع الأخلاق وكان ذلك كما أشرت سابقًا ردة فعلٍ على ما كان يراه من الجماعات الإسلامية الأخرى -الإخوان المسلمين خصوصًا- التي كان يرى أنها تتخذ من الدعوة إلى الأخلاق منهجًا. فالنبهاني يرى بأن الأخلاق جزء من الأحكام الشرعية ولا تعتبر بابًا خاصًا في ذاتها، وقد تسربت هذه الفكرة إلى المؤلفات الأخرى. ورد في كتاب مفاهيم حزب التحرير: "والصفات الخُلُقية لا يتصف بها المسلم لذاتها ولا لما فيها من منفعة، بل يتصف بها لأن الله أمر بها فقط لا لأي شيء آخر، فلا يتصف المسلم بالصدق لذات الصدق ولا لما فيه من منفعة، بل لأن الشرع أمر به"[٨٥]. والأخلاق -حسب النبهاني- لا تقوم بها المجتمعات وإنما تقوم بالأنظمة وإنه لا يجوز أن تحمل الدعوة إلى الأخلاق في المجتمع لأنها -الأخلاق- ستكون نتيجة طبيعية لتطبيق أحكام الإسلام، بل إن الدعوة إليها تخدير للمجتمع بالفضائل الفردية وقلب لمفاهيم المسلم عن الحياة وإبعاد للناس عن تفهم حقيقة المجتمع ومقوماته.[٨٦] وهذه النقطة كما يرى الباحث أسامة الأشقر" خطيرة بلا شك فهي

---

[٨٢] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٧.

[٨٣] حول تطور الفكر السياسي الإسلامي بناء على قراءة التجربة السياسية ينظر: يوجه سوي، خير الدين، **تطور الفكر السياسي عند أهل السنة: فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري**، عمان، دار البشير، ١٩٩٢م. بلقزيز، عبد الإله، **تكوين المجال السياسي الإسلامي (١): النَبُوّة والسياسة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥. عليان، الجالودي، **الخليفة والسلطان : قراءة في إشكالية العلاقة بين السلطنة والخلافة**، المؤتمر الدولي الثالث لبيت المقدس، رام الله، ٢٠١٢. عليان، الجالودي، **التأسيس للسلطنة في الفكر الخلدوني: من إمارة الاستيلاء عند الماوردي إلى مفهوم العصبية والشوكة عند ابن خلدون**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة ١٣، ع٥١، شتاء ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٠٩-٢٣٩.

[٨٤] حول تطور النظام الفقهي والقضائي في الإسلام بناءً على دراسة معمقة للحالة الإسلامية في فترة التكوين ينظر: حلاق، وائل، **نشأة الفقه الإسلامي وتطوره**، ترجمة: رياض الميلادي، مراجعة: فهد الحمودي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧.

[٨٥] **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥، ص٣٨.

[٨٦] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص١٢٩-١٣٠.

تجعل الأخلاق مسؤولية المتدين وتعفي غير المتدين من ذلك، والنبهاني ينظر هنا بطريقة أحادية لهذه المسألة ويعزل الدين عن مستواه التفاعلي الاجتماعي حيث إن الإنسان الذي كرمه الله يعرف الأخلاق بوصفها جزءًا من تكريم الله له، وقد أوضح رسول الله هذه الحقيقة (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) "[٨٧]

وبذلك اختزل النبهاني مسألة الأخلاق بما يندرج تحت الأحكام الشرعية الحلال والحرام وغيرها، واستثنى بذلك جانبًا كبيرًا من المشترك الأخلاقي الإنساني، ثم إنه اختزل علم الأخلاق الإسلامي في هذه الأحكام الشرعية وأخرج من هذا السياق علمًا أصيلًا توارثه المسلمون جيلًا بعد جيل يهتم بتزكية المسلم ظاهرًا وباطنًا حتى يكون عمله منطلقًا من إيمانٍ داخلي واعٍ عميقْ مستجيب لكلام الله بمسؤولية ذاتية متطورة مع حاجات العصر دون حاجة إلى إجبار الدولة أو قمعها. والمتابع لمنهج الحزب الفكري يجد بأن من أهم آثار هذه النظرة الدونية لعلم الأخلاق إهمال حزب التحرير لكل الجوانب التربوية الإيمانية التي تعتمد على جانب التزكية وتعزيز الجانب الروحاني الذاتي والنظر في بواطن الأعمال وظواهرها بعمق.[٨٨]

الكتاب الآخر الذي يعتبر كتابًا أساسيًا لكل دارس في الحزب منذ التأسيس وحتى اليوم هو كتاب التكتل الحزبي[٨٩] وهو كتاب يحمل قراءة للواقع العربي الإسلامي في الفترة التي عاصرها النبهاني، وشرحًا لأسباب فشل الحركات السابقة في تحقيق النهضة، ويبين مراحل عمل الحزب وهي التثقيف فالتفاعل مع الأمة فاستلام الحكم، ويوضح الكتاب طريق سير الحزب وأهم أدواته والمشاكل التي قد يعترضها أثناء سيره.

وعند محاولة فهم أعمق لهذا الكتاب الذي يؤسس للفكر النظري بشكل مركز لدى أعضاء الحزب فإننا سنلحظ فيه ملاحظة أساسية كما لاحظناها في غيره وهي مسألة الحسم في اتخاذ الأحكام التي توصل إليها، بحيث يعطي الدارس قناعة بأن ما وصل إليه هذا الفكر هو النهاية الراسخة غير القابلة للنقض أو النقد، ففي كتاب التكتل الحزبي نرى حكمًا عامًا بفشل كل الحركات الإسلامية التي ظهرت قبل حزب التحرير مع أن الحزب لم يستطع أن ينجح عمليًا فيما فشل فيها الآخرون حتى اليوم! يقول النبهاني معللًا سبب إخفاق هذا الحركات جميعًا: " وكان إخفاق جميع هذه الحركات طبيعيًا، لأنها لم تقم على فكرة صحيحة واضحة محددة،

---

[٨٧] حوار عبر الإيميل مع الدكتور أسامة الأشقر بتاريخ ٢٠١٦/٨/٧.

[٨٨] من أجل نظرة أعمق لعلم الأخلاق والتزكية يمكن الاطلاع على الكتب الآتية: دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن**، تعريب وتحقيق وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة. عبد الرحمن، طه، **سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**، المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م. الجابري، محمد عابد، **العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

[٨٩] صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٣م والطبعة الحالية المعتمدة عام ٢٠٠١م، وهو من الكتب الأساسية التي يجب على الدارس في الحزب تعلمها، والتغييرات التي حصلت عليه منذ صدور الطبعة الأولى قليلة جدًا.

ولم تعرف طريقة مستقيمة، ولم تقم على أشخاص واعين، ولا على رابطة صحيحة."[٩٠] هكذا يبدأ الدارس في الحزب ببناء فكره! فأفكار الحزب وطريقته هي فقط الصحيحة، ومؤسسو الحزب وعلماؤه فقط هم من يحملون الوعي الكافي وعلاقته بحزبه وأفراد الحزب هي فقط الرابطة الصحيحة، والحديث عن الحركات الموجودة حديث حادٌ يعكس -ربما- النظرة التي يحملها أفراد الحزب تجاه الآخرين من أبناء الحركات الإسلامية وغير الإسلامية العاملة على الساحة يقول النبهاني: "كان وجودها ليس خاليا من المنفعة فحسب، بل ضارًا بالأُمَّة"[٩١] ووجودها يحول دون وجود الحزبية الصحيحة وهذه الأحزاب تغرس اليأس والشك والسواد والحزازات الشخصية والأحقاد العائلية والدوران حول المنفعة وتفسد طبيعة الجمهور ونقاءه وتزيد العبء على التكتل الصحيح الخارج من صميم الجمهور[٩٢].

الكتاب التأسيسي في مجملة محاولة لهدم كل ما سبق وليس تفكيكه أو دراسته للخروج بنتائج مبنية على دراسة معمقة وإنما هو محاولة لملء العقل بمسلمات جازمة تجعل من كل ما سبقها محاولات إصلاحية إما في الاتجاه الخطأ أو تابعة للاستعمار ومشاريعه وكلها ضارةٌ بالأمة، ولذلك فإن النبهاني يلغي فكرة التراكم في العمل النهضوي والفكري والإنساني ويحكم بالفشل التام على كل الجهود والتحركات التي قامت في الأمة على مدار أجيال ولا يذكر لها حسنةً واحدة! وهذا الأسلوب في هدم كل ما سبق وعدم الاعتراف بأي فضل للآخرين هو من الأساليب التي تدل على قصور شديد في الوعي والإدراك للواقع وضعف شديد في فهم سنن التاريخ، وهي محاولة غير نبيلة لسلب كل الجهود السابقة حقَّها والحكم بجهلها وغبائها والاستخفاف بها على الرغم من كل ما قدمته للأمة في ميادين الدعوة والجهاد وغيرها. يقول الحزب مؤكدًا هذا المعنى: "وكان طبيعيًا أن تخفق –الحركات الإسلامية السابقة- لأنها وإن كانت حركات إسلامية، لكنها في سوء فهمها للإسلام تزيد العقدة، وتعقد المشكلة، وتبعد المجتمع عن الإسلام بدل أن تعمل لتطبيقه."[٩٣]

بل إن الاتهام بالعمالة والقيام بتنفيذ مخططات الاستعمار فكرة حاضرة دائمًا في فكر الحزب فمثلًا: " ... الجامعة العربية والجامعة الإسلامية مشروع استعماري لصرف الأذهان عن الدولة الإسلامية"[٩٤] ويقول عن الجمعيات: "وقد شجع الاستعمار هذه الجمعيات حتى ظهرت

---

[٩٠] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٤.

[٩١] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص ١٦.

[٩٢] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص ١٦.

[٩٣] **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، مرجع سابق، ص١٣.

[٩٤] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٥.

أعمالها الخيرية للناس"[٩٥] فثقافة الاستعمار وأتباعها بنظر النبهاني هي المشكلة الأولى التي يجب للحزب أن يتعامل معها قبل التفكير في النهضة عمومًا لأنها فصلت الشعب عن ثقافته الإسلامية وأملِيَ عليه من خلال مناهج التعليم وغيرها من الوسائل الثقافة الأجنبية التي جعلت من الغرب مركز الثقافة والفكر ولذلك أصبح المسلم منفصلًا عن نفسه يحمل فكرًا أجنبيًا وشعورًا إسلاميًا فأصبحت استجابته استجابة للواقع وليست استجابةً للمبدأ[٩٦] ولذلك فـ: "لولا الثقافة الأجنبية لكانت تكلفة النهضة أقل تكاليف منها الآن "[٩٧].

خلاصة ما يريده الحزب إذن تحويل الفكر إلى مبدأ ثم تجسيده في الأشخاص بعد أن يستقر عقيدة راسخة من خلال الثلة الواعية التي يرتفع عندها الإحساس بالواقع والتي تخرج منها الفئة المتميزة، فتعمل على إيجاد الطريق الذي يوصل إلى الهدف ثم تجمع حولها الأفراد لتقيم تكتلًا يجتمع حول هذه العقيدة التي تشتمل على مبدأ وطريقة، تبدأ هذا الكتلة بتشكيل خلايا والتي بدورها ستنشر الوعي في الأمة وبذلك يصبح الحزب بوتقة لصهر وعي الأمة وبذلك يسوقها الحزب إلى النهضة.[٩٨]

هذه الأفكار والفلسفة التي لا تراعي طبيعة الناس ولا اختلافاتهم الفطرية والنفسية وتتعامل مع الأمة الإسلامية على اعتبارها خليطًا متجانسًا واحدًا ينتظر فقط من يقوده نحو تطبيق الإسلام كما يراه الحزب هي أقرب إلى كونها فلسفة خيالية، لا تستند إلى أي تجربة واقعية حقيقية، وتتعامل مع عملية التغيير على اعتبارها عملية رياضية مبنية على علاقات مجردة وليس على علاقات إنسانية متشابكة ومعقدة. هذا الأمر جعل الحزب يقف أمام مشاكل كبيرة في تعاطيه مع الواقع كتجاهله للاختلاف الواقع بين المسلمين سواءً المذهبي أو العرقي أو الفكري حتى من الحركات الإسلامية الأخرى التي كانت قائمة بالفعل أمامه والتي لم يرَ فيها إلا معطلًا لجهوده، ولذلك فإن الحزب يرى نفسه الوحيد المؤهل لقيادة الأمة وعلى الجميع الانصهار معه، والحزب هو الوحيد الذي فهم الطريقة الصحيحة لتبليغ الإسلام وهو الوحيد الذي عرف كيف يثقف الناس تثقيفًا إسلاميًا يؤثر في مشاعرهم وهو فقط من يدرس الأحكام الشرعية من أجل تطبيقها عمليًا[٩٩]. وانطلاقًا من هذا الفهم وهذه الأحكام الشاملة الجاهزة فإن الحزب لا يمكن له أن يخوض أي تجربة شراكة مع غيره مهما كانت نقاط الاتفاق، وهذا يجعل من المنتمين إلى الحزب حاملين لنظرةٍ استعلائية على المجتمع بكل مكوناته.

---

[٩٥] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص١٧. لتفصيل أكثر حول رأي النبهاني وفتاوى حزب التحرير في موضوع الجمعيات والتعليق عليه ينظر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي**، مرجع سابق، ص١٥٩-١٩٠.

[٩٦] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص١١-١٣.

[٩٧] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص١٣.

[٩٨] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٢٣- ٢٥.

[٩٩] **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، مرجع سابق، ص٧-١٢.

ويعزز هذه النظرة الاستعلائية الكلمات التي يستخدمها النبهاني في وصف المجتمع فهو مجتمع منحط فكريًا وأفراده مهما كانت مكانتهم العلمية فهم لا يملكون أي تأسيس نظري صحيح يقول النبهاني:" ...بخلاف المجتمع المنحط، فإنه بمجموعه لا توجد لفِكرِه قاعده. لأنه بمجموعه لا يعرف الغاية التي يفكر ويعمل من أجلها، وتكون الغاية عند أفراده آنيَّة أنانية، ولذلك لا يوجد عنده جو إيماني"[١٠٠]. وبخصوص المجتمع: " اعتبار جميع أفراد الأمة سواء في أنهم خالون من كل ثقافة صحيحة "[١٠١] و يقول النبهاني: "ويشرف - أي الحزب- على فكر المجتمع وحسه ليسيرهما في حركات تصاعدية، ويحول بين المجتمع والانتكاس في الفكر والحس"[١٠٢]. ويقول أيضًا : "فالحزب هو الضمانة الحقيقية لإقامة الدولة الإسلامية ولبقائها ولتطبيق الإسلام، وإحسان تطبيقه، واستمرار هذا التطبيق، وحمل الدعوة الإسلامية للعالم، لأنه بعد أن يقيم الدولة يكون رقيبا عليها محاسبًا لها قائدًا الأمة لمناقشتها "[١٠٣].

ويظهر تسطيح مسألة التغيير بشكل هائل واعتبارها عملًا مجردًا في كل كتابات النبهاني، فتغيير الأفكار سيولد تغيير المشاعر والسلوك وبالتالي سينتج علاقات جديدة وهذا ما سيصعِّد الحزب إلى مركز المجتمع بشكل تلقائي وسيوصله إلى سدة الحكم وهو كثيرًا ما يستخدم في الكتاب مصطلح (انتقالًا طبيعيًا) ، "وعلى هذا الأساس وُجد حزب التحرير، وقام يعمل لاستئناف حياة إسلامية في البلاد العربية فينتج عنها (طبيعيًا) استئناف الحياة الإسلامية في العالم الإسلامي بإيجاد الدولة الإسلامية في قطر أو أقطار نقطة ارتكاز للإسلام"[١٠٤] مرةً أخرى يتعامل مع التغيير كمعادلة كيميائية ثابتة إضافة المكون إلى الآخر ستنتج لا محالة مكونًا آخر محدد الصفات! وهو ما لا يستقيم يقينًا مع التركيب الحاصل في العلاقات الإنسانية المركبة، ويضيف الحزب أيضًا إلى أن قيام الدولة الإسلامية وأنظمتها -كما يراها الحزب- سوف يؤدي بشكل طبيعي إلى تغيير الفرد: "ومن هنا كان المعول-بعد العقيدة- على أنظمة الإسلام وعلى تطبيقها في معترك الحياة، لأن تطبيق هذه الأنظمة مع العقيدة يكوِّن في الأمة العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية تكوينًا (طبيعيًا) ويجعل شخصية المسلم سامية متميزة"[١٠٥]."ولكنه –أي الحزب- يجعل نقطة الابتداء البلاد العربية، بوصفها جزءًا من البلاد

---

[١٠٠] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٣٢.

[١٠١] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٣٧.

[١٠٢] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٣٨.

[١٠٣] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٥٥.

[١٠٤] **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، مرجع سابق، ص١٣.

[١٠٥] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٥.

الإسلامية، ويرى أن قيام دولة إسلامية في البلاد العربية نواة للدولة الإسلامية هو الخطوة الأولى (الطبيعية) في ذلك"[١٠٦]

من جديد يربط النبهاني بين الفرد وأعماله وأفكاره بالعقيدة، وهذه النقطة من أخطر القضايا التي تجعل من الفرد الذي ينضم إلى الحزب جامدًا تمامًا ومتعصبًا فكل الأفكار التي يحملها والطريق التي يتبعها مرتبطة بالعقيدة. والتي يعلم المسلم أن كل خلل مرتبط بها هو بالضرورة مرتبط بمسألة الإيمان والكفر فالعقيدة هي" الحكم الذي لا يُقبَل الشك فيه لدى معتقدِه"[١٠٧]، وعليه فمسائل العقيدة في الفكر الإسلامي هي أمور متعلقة بالقطعيات التي لا تقبل الشك وهي مبنية على قطعيات القرآن والسنة الصحيحة، ولذلك فإن استخدام النبهاني لهذا المصطلح في بناء الفكر الحزبي مسألة تؤدي فيما تؤدي إليه إلى تحويل النقاشات الحزبية النسبية الفرعية المتعلقة بقضايا اجتهادية خلافية إلى مسائل يقينية لا تقبل الشك أو التأويل لأنها مرتبطة مباشرة بالعقيدة. وأكثر من هذا ما ذكره في شأن فكر الحزب: "فكان –بطبعه- يصفِّي من ينطبع به، فيجعله مخلصًا، حتى لو أراد أن لا يكون مخلصًا لا يقدر على ذلك "[١٠٨] لأنه فكرٌ نابع من العقيدة الصافية كما يراها النبهاني.

أما المبدأ الذي يحمله الحزب فهو ليس جزئية فرعية مرتبطة بالإسلام أو مرتبطةً بعمل الحزب الفكري أو السياسي بل هو الإسلام نفسه يؤكد هذه الفكرة قول النبهاني في مرحلة تسلم الحزب للحكم من الأمة: "تسلم الحزب زمام الحكم عن طريق الأمة تسلمًا كاملًا حتى يتخذ الحكم طريقة لتطبيق المبدأ على الأمة ومن هذه المرحلة تبدأ الناحية العملية في الحزب في معترك الحياة وتظل الدعوة للمبدأ العمل الأصلي للدولة والحزب، لأن المبدأ هو الرسالة التي تحملها الأمة والدولة "[١٠٩].

وهذا يحيلنا إلى تساؤل آخر هو هل يعيش الحزب في الواقع ويتعامل معه أم هو يفصل نفسه تمامًا عنه ويكتفي بالتنظير له، يجيب على هذا التساؤل النبهاني حينما يتحدث عن إحدى الصعوبات التي ستواجه الحزب في سيره وهي وجود الواقعيين الذين سممتهم أفكار الغرب في الأمة ولدى شرحه لمعنى هذه الفكرة يقول: " الفئة الواقعية: التي تدعو إلى الواقع وإلى الرضا بالواقع والتسليم به كأمر حتمي، لأنها تتخذ الواقع مصدر تفكيرها وتأخذ منه حلول مشاكلها، وطريقة التغلب على صعوبتها هو محاولة التعمق معها في البحث، وحتى ترى وتدرك أن الواقع إنما يتخذ موضع التفكير لتغييره وبذلك يمكن أن ترجع عن فكرها."[١١٠] الواقع حسب النبهاني

---

[١٠٦] **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، مرجع سابق، ص ٧٩.

[١٠٧] أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي**، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، (مادة: عقد) ص٢٥٦.

[١٠٨] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٢٦.

[١٠٩] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٣٦-٣٧.

[١١٠] النبهاني، تقي الدين، **التكتل الحزبي**، مرجع سابق، ص٤٨.

هو موضع التفكير لتغييره وليس مصدر التفكير، والواقع أن هذه العبارة لا معنى لها بشكل عملي إلا إن كان المقصود أننا يجب أن نفكر في الواقع ثم ننفصل عنه لنبحث عن طريقة أخرى لتغييره، والتجربة البشرية وطبيعة الأشياء تؤكد لنا أن التغيير لا يمكن أن يكون إلا من خلال التعامل مع الواقع وإلا انتقلنا إلى مستوى مختلف وأصبحنا نعيش في عالمٍ نظري بعيد عن الواقع كما هو حال الحزب مع قضية فلسطين فبدلًا من بناء القوة التي تردع المحتل والسعي في تغيير الواقع بالقوة نحمّل المسؤولية للأمة أو الشعوب أو الحكام أو غيرهم بحجة أن الواقع موضع التفكير وليس مصدره، فالعقل هو مصدر التفكير ولكن العقل الذي لا يبني تفكيره على معلومات واقعية ويظل يعيش في أفكاره هو عقل الفلاسفة الذين يعيشون في مدنهم الفاضلة.[١١١]

أخيرًا يرى النبهاني أن هناك ثلاث قضايا أساسية جهلها المسلمون ويجب على الحزب أن يتجاوزها ويوعي الأمة بها حيث فقد المسلمون ثلاثة أصول في فهم الإسلام الأول: فهم الفكرة الإسلامية بسبب دخول الفلسفات والأفكار الهندية واليونانية وغيرها ومحاولة التوفيق بينها وبين الإسلام ابتداء منذ القرن الثاني الهجري. والثاني: جهلهم بالطريق التي هي حمل الدعوة الإسلامية بالجهاد وتطبيق الإسلام من خلال الدولة الإسلامية. والثالث: عدم قدرتهم على ربط الفكرة بالطريقة بحيث درسوا الأحكام الشرعية منفصلةً عن طريقة تنفيذها وهي الأحكام المتعلقة بالخلافة والجهاد.[١١٢]

والمتابع لكلام النبهاني في هذه الكتب التأصيلية والتي يبدأ الدارس في الحزب بالمرور عليها تباعًا منذ التحاقه بالحزب، سيجد أنه يضع كل هذه التفاصيل التاريخية والكلامية والفقهية والشرعية ليصل بالدارس إلى قناعات وتصورات عن نفسه وعن الكون والحياة تبدأ بمقدمات في العقائد والمبادئ الفكرية وقراءة التاريخ وتشخيص الواقع وأخيرًا منهج التغيير والهدف منه ليصل به إلى نهاية مفادها أنه: " متى وُجِدَ الخليفة فقد وجدت الدولة الإسلامية، لأن الدولة الإسلامية هي الخليفة "[١١٣] ومهما بلغ انحطاط المسلمين وسوء عملهم فإنه يظل في حدود الإسلام طالما كان الخليفة قائمًا.[١١٤] بل إن أعظم أمر عند المسلمين هو مركز الخلافة، وقد

---

[١١١] ينظر: جابر، شريف محمد، **الخطاب المريض: جراحه استئصالية لأفكار سرطانية**، مؤسسة يقظة فكر، ٢٠١٥، ص٩-١٠.

[١١٢] وكتاب مفاهيم حزب التحرير وهو كتاب بدون مؤلف، ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٣م والطبعة السادسة المعتمدة ٢٠٠١م، وهو من أول الكتب التي يدرسها أفراد الحزب. ينظر: مخطوط مذكرات صالح الساكت، مرجع سابق. **مفاهيم حزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، مرجع سابق، ص٤-٦.

[١١٣] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٤٧.

[١١٤] ويرى النبهاني أنه مهما وصلت الدولة إليه من الانحطاط والانقسام وتضييع حق الأمة فهو في حدود الإسلام يقول النبهاني:" **ولكنه منذ أوائل القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري كان انحطاطًا تامًا ولكنه كان في حدود الإسلام** " النبهاني، تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٩٢.

أعطى الشرع الإسلامي الخليفة وحده صلاحيات ترجيح حكم في التبني للأحكام وجعله ينفرد بقوة الدليل وجعل له وحده ترجيح جانب الصواب وله وحده حق إعلان الحرب وعقد الصلح وتحديد العلاقات مع الدول الكافرة[١١٥] وهكذا تم اختزال الإسلام كلِّه في مسألة الدولة ثم اختزالها في وجود الخليفة الذي يطبِّق الإسلام بالطريقة التي وضعها الحزب وضمن الصلاحيات الشاملة التي أعطاه إياها الحزب كذلك.

ولذلك ستكون هذه الفكرة هي محور الفكر التحريري وخلاصة دعوته وكل فكرٍ ينتجه الحزب يجب أن يصب فيما يخدم هذه الغاية، وهو أيضًا ما يجب نشره وتعميمه على المجتمع كما جاء في أول صحيفة أصدرها الحزب عام ١٩٥٤م: "الدولة الإسلامية خليفة يطبق الشرع، الدولة في الإسلام هي الخليفة "[١١٦] أما دور هذه الدولة فهو تطبيق الإسلام ودورها الحضاري على مستوى العالم هو حمل الدعوة الإسلامية إلى العالم بالجهاد "وحين تسود هذه الحضارة الإسلامية كما سادت من قبل، فإنها ستكفل معالجة أزمات العالم، وتضمن الرفاهية للإنسانية جمعاء"[١١٧].

ومن المسائل الخطيرة عند الحزب مسألة (التبني)[١١٨] عند الحزب وهي أهم المسائل التي تؤسس للوحدة الفكرية عنده. والتبني المقصود هنا ليس تبني الإسلام بحد ذاته كمنهج وإنما هو إلزام أفراد الحزب بكل ما يصدر عن الحزب بشكل قطعي حتى لو خالف اجتهاد الفرد. وبموجب هذا المبدأ يجب على الفرد التحريري تبني والعمل بما يصدر من الحزب ونشره كما يلزم، سواء تعلق هذا بأمر فقهي أو سياسي أو إداري أو غيره، سواء كان الصادر على شكل كتاب أو صحيفة أو بيان أو غيره فهو إما متبنى يعاقب مخالفه أو كان مجرد رأي صادر عن الحزب فالحزب يدعو أفراده إلى السعي الحثيث في عدم مخالفته لأنه خارج من الحزب بعد دراسة متأنية، وعليه فإن ما يصدر من الحزب ويعمَّم يصبح جزءًا من متعلقات الحزب ومنتجاته التي يتحمل مسؤوليتها ويحمله التابع للحزب بشكل إلزامي أو شبه إلزامي حسب درجة التبني، وبهذا النمط من الضبط للحياة الفكرية داخل الحزب يغلق كل صاحب اجتهاد بابه على نفسه وليس له حينها إلا تلقي أفكار الحزب السياسية والفقهية وتنفيذها طوعًا أو كرهًا وأيُّ

---

[١١٥] النبهاني، تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٦١.

[١١٦] **صحيفة الراية**، ٢٢أيلول ١٩٥٤م، السنة الأولى، العدد٨، ص٣.

[١١٧] النبهاني، تقي الدين، **نظام الإسلام**، مرجع سابق، ص٦٨.

[١١٨] من المؤلفات التي ناقشت هذه المسألة بالتفصيل من حيث طريقة الحزب في التبني وطبيعة المتبنيات ومكانة التبني في فكر الحزب، اعتمادًا على مصادر أولية أصدرها الحزب ينظر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي**، طبعة خاصة بالمؤلف، ٢٠٠٧م. ص٣٥-٦٨.

مخالفة للأوامر تعني الانخلاع من البيعة للحزب وتحمُّل وزر العقوبة أو الضمور ثمَّ السقوط حسب قول الحزب[١١٩].

وعلى هذا فإن الحزب وحده هو "العالِم" وهو "المفتي" وهو "المحلل السياسي" وأي عالم غير الحزب فلا يعتبر رأيه مهمًا عند الحزب وأفراده ولذلك نرى بأن قيمة العلم والعلماء –وهم مجهولون غالبًا-تتضخم في الحزب وتتضاءل خارجه بحيث يسهل اتهام العلماء وتحميلهم بصفات التبعية للأنظمة العميلة والفتاوى مدفوعة الأجر، لأن الحزب بطريقته هذه في التبني الحزبي يجعل من كل ما هو خارج الدائرة الحزبية أقل قيمة وضرورة عند الحزب وأفراده[١٢٠] ولذلك "ترى معظم شباب الحزب، حتى في المستوى القيادي، في حالة ضمور شديد في المعرفة العلمية الشرعية، وتشكو حالُهم من هزال في هذه المعرفة، ومجمل ما يملكون: حفظ ما جاء في النشرات وكتب الحزب"[١٢١]

نشير أخيرًا إلى الجانب العقدي في حزب التحرير فقد ناقشه العديد من الباحثين الذين عرض كل واحد منهم عقيدة الحزب وناقشها وفق منهج مختلف ومنهم: أمين نايف ذياب[١٢٢] و جواد بحر النتشة[١٢٣] و الباحث موسى السلمي الذي ناقشها في رسالة دكتوراه حيث عرض عقيدة الحزب على العقيدة السلفية وخرج بعدة نتائج: حيث ثبت للباحث من خلال مناقشته لآراء الحزب المختلفة أن لدى النبهاني ضعف وقصور في تقرير الدليل العقلي في قضايا إثبات بعض المسائل العقدية، بالإضافة إلى فصله بين الدليل العقلي والنقلي[١٢٤] في إثبات بعض مسائل العقيدة كإثبات وجود الله، وأخيرًا قوله بوجوب النظر العقلي[١٢٥] في مسائل إثبات وجود الله

---

[١١٩] ينظر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير**، مرجع سابق، ص٣٥-٤٢.

[١٢٠] في تبيين مقام الحزب العلمي ونظرته إلى العلم والعلماء ودورهم بشكل مفصَّل ومعتمد على مصادر الحزب الأساسية ينظَر: النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير**، مرجع سابق، ص ٢٣٠-٢٣٧.

[١٢١] النتشة، جواد بحر، **قراءات في فكر حزب التحرير**، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

[١٢٢] من مواليد حيفا عام ١٩٣٢ توفي عام ٢٠٠٦ في الأردن وهو من الرواد الأوائل لحزب التحرير، واعتقل أكثر من مرة بسبب انتمائه إلى الحزب، ترك الحزب لاحقًا وتبنَّى فكر المعتزلة وعاش حياته داعيًا إليه ناقش العديد من أفكار الحزب ومنها عقيدته التي يرى أنها أقرب إلى عقيدة الأشاعرة ينظر كتابه: **جدل الأفكار قراءة في أفكار حزب التحرير حول أفكار الألوهية والقضاء والقدر والأجل والرزق والهدى والضلال والنصر والجزاء**، عمان، منشورات المؤلف، ١٩٩٥.

[١٢٣] باحث فلسطيني من مبعدي مرج الزهور وأسير محرر من مدينة الخليل، له العديد من المؤلفات حول القضية الفلسطينية وله مؤلفان حول حزب التحرير ناقش عقيدة حزب التحرير من حيث المنهج والأدلة في كتابه: **قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي**، الخليل، منشورات المؤلف، ٢٠٠٧م. ص٦٩-١٠٠.

[١٢٤] على سبيل المثال: يحصر الحزب دليل إثبات وجود الله عز وجل بالدليل العقلي وهو ما يرد عليه الباحث بأن الأدلة أكثر وأشمل من ذلك ومنها دليل الفطرة ودليل المعجزة وغيره ينظر: السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، **حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية**، (رسالة دكتوراه)، إشراف: محمود محمد مزروعة، السعودية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٧، ص١٧٩.

[١٢٥] ينظر حول تفصيل هذه المسألة: السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، **حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية**، مرجع سابق، ص١٧٣.

والنبوات والقرآن الكريم.[١٢٦] وناقش الباحث قضية تفريق الحزب بين حديث الآحاد والحديث المتواتر وانتهى إلى أن الحزب لا يأخذ بحديث الآحاد في مسائل العقيدة وهي قضية كلامية مشهورة يبنى عليها عدم اعتقاد الحزب ببعض المسائل كمسألة عذاب القبر[١٢٧] وخروج المهدي وعدم اعتبار القضاء والقدر من أركان الإيمان وغيرها[١٢٨] وهذه المسألة أثارت الكثير من المشكلات الكلامية داخل الحزب وقد ترك بعض الأعضاء الحزب بسببها.

خلاصة هذه المبحث يمكن إجمالها بالقول إن التأسيس النظري لحزب التحرير قائمٌ على ركنين أساسين: ربط الأفكار كلها بالعقيدة حتى تصير جزءًا واحدًا صلبًا غير قابل للنقاش بل يتم استلام الفكرة من أجل نشرها وتعميمها ولا يُسمح بالدعوة إلى غيرها وإن خالفت قناعات الشخص. الأمر الثاني جعل الحزب هو المصدر الوحيد للتلقي سواءً في الأفكار أو الأحكام أو القعائد وهو ما يجعل الدين كله محتكرًا لقيادة الحزب وحدها.

المبحث الثالث: محددات الخطاب السياسي عند حزب التحرير

لم ينشر حزب التحرير الكثير من المعلومات عن طريقة تبلور التحليل السياسي لديه أو عن المؤسسة أو الشخص المسؤول عن كتابة التحليلات السياسية، ولكن المتابع للتحليلات والبيانات السياسية التي كانت تصدر في زمن النبهاني يلاحظ بأن أغلب أو _كل_ البيانات السياسية كانت تصدر عنه شخصيًا، وقد وردت بعض الأخبار القريبة التي توضح طريقة تعاطي الرجل مع الخبر السياسي، من ذلك ما رواه أحد الرواد الأوائل عن النبهاني يقول: " في سنة ١٩٥٨م. سافرت إلى لبنان، واجتمعت بالشيخ الجليل في بيته في بيروت، ومكثت في ضيافته ثلاثة أيام بلياليهن، ولفت نظري وجود ثلاث أجهزة راديو يستمع لهم في آن واحد، الأولى تذيع نشرة أخبار، والثانية تذيع التعليق السياسي، والثالثة موضوع آخر لا أتذكره، وبجانب أجهزة الراديو مجموعة من الأوراق وقلم حبر، فيكتب ما يثير أنتباهه من الأخبار، ويستمر على السماع والكتابة حتى ساعة متأخرة من الليل، وقليل من الوقت كان يستريح وينام به "[١٢٩].

هذه الرواية ومجمل الروايات الأخرى تتحدث عن شخصية النبهاني ودوره الأساسي في بلورة فكر الحزب السياسي وبناء تحليلاته، وتتبع البيانات أيضًا يجعلنا نتأكد من أن الخطاب بمضمونه ومفاهيمه ونماذجه التفسيرية يعتمد على النبهاني بشكل عام حتى وفاته.

---

[١٢٦] السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، **حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية**، مرجع سابق، ص١١٨-١٢٢.

[١٢٧] ينظر: السلايمة، أيمن ناصر، **أضواء البدر في إثبات تواتر أحاديث عذاب القبر**، ٢٠٠٢م.

[١٢٨] السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، **حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية**، مرجع سابق، ص١٣٩-١٤٨.

[١٢٩] **مذكرات يعقوب اللحام**. مخطوط مذكرات محفوظ عند الباحث مرتب ترتيبًا خاصًا.

وقد فتحت وفاته كما يبدو الباب على مشكلة كبيرة داخل الحزب أفرزت انقسامًا حادًا ظهر عام ١٩٩٧م حين خرج على الحزب مجموعة من القيادات أبرزهم محمد عبد الكريم أبو رامي -عضو مكتب الأمير ومعتمد الحزب في الأردن- فيما عرِف بفتنة الناكثين حيث خرجت المجموعة من الحزب احتجاجًا على الكثير من المشكلات الإدارية والآراء السياسية حيث جاء في بيان المجموعة: "... ففي الناحية السياسية، لم يَصدر عن القيادة منذ سنوات عديدة أي تحليل سياسي، يستند إلى الواقع، أو حتى يرقى إلى درجة وصفه بأنه تحليل سياسي. وحين يطالب الشباب بتفسير للتحليلات السياسية تأتيهم تأويلات أسخف مما تساءلوا عنه، بحيث صار معروفًا -حتى للناس- ناهيك عن الشباب، أن بعض ما يصدر في الصحف من تحليلات أرقى بكثير من تحليلات الحزب التي لم تعد تستند إلى فكر سياسي أو إلى معلومات صحيحة، أو إلى واقع يشير إليها من قريب أو بعيد. وتتميز صياغة هذه التحليلات بركاكتها، بل إن بعضها لم يكن يتضمن أي رأي. وإن تضمّن رأيًا لا تلبث الأحداث والوقائع المستجدة أن تدحضه وتبيّن مدى بعده عن الصواب. وما ذلك إلا لأن من يكتب هذه التحليلات لا يتقيد بثوابت الحزب في الفكر السياسي والرأي السياسي، وإنما يَصدر عن تهيؤات في ذهنه ما أنزل الله بها من سلطان."[١٣٠] وهذا البيان من الروايات القليلة التي تظهر لنا مقدار الخلاف الحاصل في داخل أروقة الحزب وحالة التدافع التي تحصل كل فترة بسبب آراء سياسية أو إدارية، حيث يظهر أن رأي النبهاني الذي وضعه في حياته والمتمثل بأن رأي الإمام يرفع الخلاف، وأن الحكم في الإسلام فردي قد جعل الحزب أول من يكتوي بنار هذا القرار الذي يجعل الحزب كله أسيرًا لتحليلات وآراء شخص الأمير.[١٣١]

وهنا يظهر لدينا أن رأي الحزب السياسي لا يصدر –كما يبدو- عن علم أو معلومة خاصة أو مركز بحثي متخصص في كل قضية وإنما نرى بأن الأمير ومساعدوه يصدرون الآراء الكاملة في كل القضايا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بطريقة لا ترقى – حسب رأيي- إلى أن تكون رأيًا سياسيًا علميًا مبنيًا على المعلومة الدقيقة والتحليل العلمي، ولذلك وكما أشار البيان فإن الكثير من الآراء التي كان يكتبها المحللون في الصحف تتجاوز تحليلات الحزب التي يحاول من خلال صبغ آرائه بالمبدئية والنصوص الدينية أن يجعله تحليلاته هي الأقرب إلى الصواب.

عمومًا قدَّم حزب التحرير نفسه باعتباره جزءًا من هذه الأمة مرتبطٌ بها وحذر أتباعه من القيام بأي عمل يفصل الحزب عن الأمَّة "ويجب أن تبعد الكتلة عن كل عمل أو قول أو إشارة توهم انفصالها عن الأمة بأي شيء صغر أم كبر، لأن هذا يبعد الأمة عنها وعن دعوتها، ويجعلها عقدة من عقد المجتمع التي تحول دون نهوضه، فالأمة كل لا يتجزأ، تقوم الكتلة

[١٣٠] بيان إلى شباب حزب التحرير صدر بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٩٧.

[١٣١] حول الانشقاقات التي مرَّ بها حزب التحرير ينظر: أبو هنية، حسن. شحادة، مروان. **حزب التحرير منعرجات التشكل والانشقاقات.** في: حزب التحرير، الإمارات العربية المتحدة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠٠٧. ص١٥٥.

لتقيم الدولة، وتظل حارسًا على الإسلام في الأمة والدولة."[١٣٢] والتأكيد على هذه العبارات هنا مهم لندرك حقيقة واقع الحزب وموقعه من الأمة أثناء تقديمه لتحليلاته السياسية المتعلقة بموضوع بحثنا وهل التزم الحزب عمليًا بهذا الكلام أم كانت تحليلاته منفصلةً عن واقع الأمة عكس ما ألزم به نفسه.

اختار الحزب طريقًا واحدًا ليكون جزءًا من هذه الأمة كما يقول وهو الطريق السياسي فعرَّف الحزب نفسه في كل أدبياته بأنه حزب سياسي إسلامي (السياسية عمله والإسلام مبدأه)[١٣٣] إنه يرى بأن واحدًا من أهم عوامل تأسيسه كان عدم وجود أحزاب سياسية تقوم على أساس المبدأ الإسلامي كما يراه، ولذلك فإن الدارس لأدبيات الحزب المنشورة سيجد تضخيمًا هائلًا في جانب الإصدارات السياسية إذا قارنَّاها بأي إصدارات فكرية أو شرعية أو غيرها، في هذا المبحث سنحاول الإجابة على عدة تساؤلات حول مفهوم السياسة والعمل السياسي عند الحزب، بالإضافة إلى وضع تصور عام حول أهم المرتكزات التي يرتكز عليها الحزب في تحليله السياسي والمصادر التي يستقي منها معلوماته التي يبني عليها تحليلاته ومواقفه السياسية، وأخيرًا سنسعى في وضع تصور عام لرؤية الحزب للواقع السياسي الذي تعيشه الأمة منذ نشأته حتى اليوم.

يقدم حزب التحرير نفسه –كما أسلفتُ- باعتباره حزبًا سياسيًا وينفي عن نفسه كل صفةٍ غير العمل بالسياسة ويرى بأن العمل الواجب للإسلام هو العمل السياسي فقط "لذلك يجب أن تكون الكتلة التي تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية، ولا يجوز أن تكون كتلة روحية ولا كتلة خلقية، ولا كتلة علمية، ولا كتلة تعليمية ولا شيئًا من ذلك، ولا ما يشبهه، بل يجب أن تكون كتلة سياسية، ومن هنا كان حزب التحرير –وهو حزب إسلامي- حزبًا سياسيًا، يشتغل بالسياسة، ويعمل لأن يثقف الأمة ثقافةً إسلامية، تبرز فيها الناحية السياسية."[١٣٤]

يعرف حزب التحرير المسلمَ العاملَ في صفوفه باعتباره "...حاملَ دعوةٍ تسير في الطريق السياسي فهو سياسي ليس غير."[١٣٥] وهو يستغل كل أبواب الإسلام الأخرى من أجل نشر الفكرة السياسية التي يحملها "وعليه فإنه لا يصح أن يتصدر الشاب للفتوى فيقصده الناس للاستفتاء، ولكنه إذا سئل عن صيغة القنوت اغتنمها فرصة ليشرح معنى الدعاء، وإذا سئل عن الحركة في الصلاة اغتنمها ليشرح معنى التقليد، وإذا سئل عن السمسرة انتقل إلى وجوب التقيد بالشرع، فلا يكتم ما يعلم، ولا يحاول التعلم لإعطاء الفتوى بل يكون في كل أحواله

---

[١٣٢] **مفاهيم حزب التحرير**، مرجع سابق، ص٧٧.

[١٣٣] **منهج حزب التحرير في التغيير**، من منشورات حزب التحرير، ١٩٨٩م، ص١١.

[١٣٤] **مفاهيم حزب التحرير**، مرجع سابق، ص٧٨.

[١٣٥] **الدوسية التكتلية**، ص١٩٤.

ومنها هذه الحال، حامل دعوة في الطريق السياسي أي سياسيًا مبدؤه الإسلام."[١٣٦] أما الأفكار التي يحملها فهي أفكار سياسية تُتَّخذُ للعمل بها وليس لمجرد طرح الأفكار النظرية: "فالأفكار إذا لم تُحمل حملًا سياسيًا للعمل بها، وإيجادها في واقع الحياة فإنها تبقى معلومات ذهنية"[١٣٧] ولم يحدد الحزب آلية واضحة لكيفية إيجاد هذه الأفكار في الواقع فقد مضى على الحزب اليوم أكثر من ستين عامًا ولا يزال منشغلًا في نشر مواقفه وبياناته ودروسه وخطبه دون أن يكون لهذه الأفكار أي أثر حقيقي في الواقع وإنما كانت في حقيقتها نشاطات فكرية نظرية تقدِّم رؤية سياسية من بين الرؤى العديدة التي يطرحها صحفيون وكتَّاب ومحللون وحركات وأحزاب ثم هي تظل حبيسة الكتب والبيانات والدراسات الأكاديمية لأنها لم تقدِّم رؤيتها وفق خطة أو آلية لتنفيذها عبر حزب وتحركات عملية على أرض الواقع.

وعلى الرغم من أن الحزب قد حدد دوره في الأمة بأنه عمل سياسيٌّ بامتياز: "فعمل الحزب كله عمل سياسي وليس عمله تعليميًا -فهو ليس مدرسة- كما أن عمله ليس وعظيًا وإرشاديًا، بل هو عمل سياسي فيه أفكار الإسلام وأحكامه ومعالجاته للعمل بها، ولإيجادها في واقع الحياة وفي الدولة والمجتمع"[١٣٨]، وعلى الرغم من أنه قد جعل الاشتغال بالسياسة حسب فهمه وتعريفه لها فرضًا شرعيًا على المسلمين: "فالأحاديث كلها تدل على الطلب الجازم، أي على أن الله طلب من المسلمين طلبًا جازمًا بأن يهتموا بالمسلمين، أي أن يشتغلوا بالسياسة. ومن هنا كان الاشتغال بالسياسة فرضًا على المسلمين."[١٣٩] فإن المراقب للحزب طوال تاريخه لا يجده قد انخرط في العمل السياسي خلا الفترات الأولى التي أشرنا إليها في المبحث الأول حين شارك في الانتخابات البرلمانية في الأردن ولبنان لاحقًا، سوى ذلك لم يعمل الحزب عملًا واحدًا طوال تاريخه يمكن أن يوصف بأنه سلوك عملي فعلي لتطبيق أفكاره السياسية كإيقاف خطرٍ حذر منه في بياناته أو المشاركة في فعلٍ حقيقي لتحقيق مصلحة للأمة نبَّه إليها أو دحرِ خطر محقق تحدَّث عنه.

ويُعلي الحزب من قيمة الفكر السياسي على كل الأفكار الإسلامية الأخرى حيثُ:" يُعتبر الفكر السياسي من أعلى أنواع الفكر على الإطلاق وهو يعني التفكير المتعلق برعاية شؤون الأمة"[١٤٠] وهذه النظرة إلى السياسة والفكر السياسي تعكس طبيعة الحزب والتضخم الكبير في إنتاج التحليلات والمواقف السياسية التي يقدِّمها الحزب منذ نشأته حتى اليوم فالحزب وعلى الرغم

---

[١٣٦] **الدوسية التكتلية**، ص٢٠٠.

[١٣٧] **منهج حزب التحرير في التغيير**، من منشورات حزب التحرير، ١٩٨٩م، ص٧.

[١٣٨] **منهج حزب التحرير في التغيير**، من منشورات حزب التحرير، ص١٢.

[١٣٩] **أفكار سياسية**، من منشورات حزب التحرير، بيروت، دار الأمة، ط١، ١٩٩٤م. ص٧٩.

[١٤٠] **أفكار سياسية**، من منشورات حزب التحرير، بيروت، دار الأمة، ط١، ١٩٩٤م. ص٣.

من أنه قد أخرج الكثير من المؤلفات الفقهية التي نسبها إلى أفراده غالبًا ولكنه قد جعل الإنتاج السياسي أهم مخرجاته ويقدِّمها على أنها أهم إنجازاته.

ويعود الحزب أيضًا لربط السياسة بالعقيدة كما هو الحال مع القضايا الفكرية التي ذكرناها سابقا بل إنه ينظر إلى العقيدة الإسلامية على اعتبارها عقيدة سياسية وجزءًا من الفكر السياسي وأساسًا له:" والعقيدة الإسلامية فكرة سياسية، فهي من الفكر السياسي، بل هي أساس الفكر السياسي لدى المسلمين، فهي مبدأ أو نظام، ودين ومنه الدولة."[١٤١] وهذه القضية التي أشرت إليها في الفصل السابق من أدق القضايا التي يجب على المتابع للحزب أن يفطن إليها حيث يعبِّر ربط الحزب لأفكاره كافَّة بالعقيدة من القضايا الخطيرة التي تجعل رأي الحزب السياسي الاجتهادي رأيًا غير قابلٍ للنقاش أو الرد أو الرفض على مستوى الشخص المنتمي إلى الحزب وبذلك يتم الحجر على عقله ورأيه تمامًا، وقد أشار جواب سؤال حول الهامش المسموح به للخلاف مع رأي حزب التحرير السياسي فأجاب الحزب: "لا يجوز التحدث برأي يخالف ما صدر فيه رأي الحزب...حتى ولو كان الشاب على يقين من خطأ رأي الحزب...لأن ذلك فيه إزالة لمعنى التكتل ولصفته الشرعية، وهو حرام، وكل من يفعل ذلك يكون قد أخرج نفسه طواعية من الحزب..."[١٤٢] ولذلك نحن هنا أمام رأي سياسي جاهز صادر من جهة واحدة غالبًا هي أمير الحزب أو أحد معاونيه تخرج رأيًا أو تحليلًا سياسيًا يجب على كل أتباع الحزب في أي مكان في العالم على تبنيه والقول به وافق رأيهم وفهمهم ومعلوماتهم أم لا.

وبهذه الطريقة يسعى الحزب إلى نشر الوعي السياسي بين المسلمين حسب فهم الحزب الخاص، والحزب يعرِّف الوعي السياسي تعريفًا خاصًا به يعكس حالة الصلابة الشديدة التي يعيشها الحزب في أفكاره ومفاهيمه السياسية فالوعي السياسي عند الحزب هو:" النظرة إلى العالم من زاوية خاصة، وهي بالنسبة لنا من زاوية العقيدة الإسلامية، زاوية لا إله إلا الله، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها "[١٤٣] و" لا يتم الوعي السياسي إلا إذا توفر له عنصران: أن تكون النظرة إلى العالم كله، وأن تنطلق هذه النظرة من زاوية خاصة محددة."[١٤٤] وبناء على هذا النص فإن الحزب قد وضع قاعدتين مهمتين في كل تحليلاته السياسية الأولى ربطه العقيدة الإسلامية –حسب فهمه- بالفكر السياسي ومخرجاته، ثم اعتبار العالم وحده واحدة ينطلق في النظر إليها مجتمعة انطلاقًا من العقيدة الإسلامية التي تقسم العالم إلى كفر وإسلام. أما

---

[١٤١] **أفكار سياسية**، من منشورات حزب التحرير، بيروت، دار الأمة، ط١، ١٩٩٤م. ص٤.

[١٤٢] جواب سؤال رقم ٨، ٩-٦-٢٠٠٢م، الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٣هـ.

[١٤٣] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٦٧.

[١٤٤] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٦٧.

تحقيق الوعي السياسي -حسب الحزب- فليس أمرًا صعبًا :"فإنهم يجب أن يعرفوا أن الوعي السياسي أمر في منتهى البساطة، وهو ميسور لكل الناس حتى الأُمِّيِّين والعوام"[١٤٥] وبناءً على هذا المفهوم التبسيطي للمسألة السياسية فإن الحزب يعتمد اعتمادًا كبيرًا على عوام المسلمين وبسطائهم وفي الوقت الذي يشير إلى أن هذا الأمر مرتبط بعدم تقديمه للاعتبارات الطبقية أثناء عمله الدعوي والتنظيمي، ولكن الحقيقة أن ما يقدمه الحزب من مادة سياسية وطريقة إلزامه لأفراده التي أشرنا إليها قبل قليل بآرائه وأفكاره تؤكد أن جزءًا مهمًا من انتشار الحزب وتوسعه التنظيمي مرتبط بالطبقة البسيطة التي لم تتعمق في الدراسة والبحث.

أما عن كيفية تحقق هذا الوعي السياسي في الأمة فيرى الحزب بأن التثقيف السياسي هو طريقه الوحيد وهو الطريق الذي انتهجه النبي صلى الله عليه وسلم:" التثقيف السياسي بالمبدأ وبالسياسة هو طريقة إيجاد هذا الوعي السياسي في الأمة وفي الأفراد وهو الذي يجعل الأمة الإسلامية تضطلع بمهمتها الأساسية ووظيفتها الأصلية إلا وهي حمل الدعوة إلى العالم ونشر الهدى بين الناس ولذلك كان التثقيف السياسي هو الطريقة لإيجاد الوعي السياسي عند الأمة وعند الأفراد."[١٤٦] وهذه الأهمية التي يوليها الحزب لمسألة التثقيف السياسي تدفعنا إلى البحث عن الهدف الرئيسي من تحقيق هذا الوعي السياسي وأين يتم توجيهه: "والواعي سياسيًا يتحتم عليه أن يخوض النضال ضد جميع الاتجاهات التي تناقض اتجاهه، وضد جميع المفاهيم التي تناقض مفاهيمه، في الوقت الذي يخوض فيه النضال لتركيز مفاهيمه، وغرس اتجاهه."[١٤٧] بهذا النص تظهر لنا صورة الحزب ودوره وسعيه الدؤوب فيما يسميه النضال ضد الجميع المخالف سواء في التوجه أو المفاهيم، وهو بذلك عمليًا يقطع الباب من الناحية السياسية على أي لقاء مع أي اتجاه مخالف له في الفكر والفهم للواقع السياسي.

والسياسة التي جعلها الحزب مدار عمله يعرّفها باعتبارها: " رعاية شؤون الأمة داخليًا وخارجيًا، وتكون من قبل الدولة والأمة، فالدولة هي التي تباشر هذه الرعاية عمليًا، والأمة هي التي تحاسب بها الدولة."[١٤٨] وبناءً عليه يحدد الحزب عمله ضمن هذا الإطار حيث يرى أن عمله هو رعاية شؤون الأمة وفق الأحكام والمعالجات الشرعية كما يراها، وهو يقدِّم لنا توضيحًا بطبيعة هذه الرعاية التي يقصدها حاليًا إذ يرى الحزب أن عمله محصور ضمن أمور هي: تثقيف الأمة بالأفكار والعقائد والمفاهيم الإسلامية بعد تصفيتها من أفكار الكفر وآرائه،

---

[١٤٥] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٧٣.

[١٤٦] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٧٤.

[١٤٧] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٦٧.

[١٤٨] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٥.

والصراع الفكري مع أفكار الكفر وأنظمته وعقائده والصراع مع المفاهيم المغلوطة وتبيين خطئها وإظهار حكم الإسلام فيها، وأخيرًا الكفاح السياسي ضد الدول الكافرة التي لها نفوذ في بلادنا والكفاح السياسي ضد الحكام وفضح خيانتهم.[١٤٩]

وللفترة التاريخية التي تأسس فيها الحزب تأثير كبير لا يزال الحزب واقعًا تحته حتى اليوم، فهاجس الاستعمار ومحاربته كان ولا يزال أحد أهم ركائز خطاب الحزب السياسي حيث يرى الحزب أنَّ الاستعمار هو النقيض الأهم الذي يسعى إلى مكافحته بل هو حجر الزاوية في عمله" مكافحة الاستعمار الغربي حجر الزاوية في الكفاح السياسي"[١٥٠] "لهذا فإن حزب التحرير يعمل لتحرير الأقاليم الإسلامية من الاستعمار كله، فهو يحارب الاستعمار حربًا لا هوادة فيها، ولكن لا يطلب الجلاء فقط، ولا يطلب الاستقلال المزيف، بل يعمل لاقتلاع الأوضاع التي أقامها الكافر المستعمر من جذورها، بتحرير البلاد والمعاهد والأفكار، من الاحتلال، سواء أكاد هذا الاحتلال عسكريًا، أم فكريًا، أم ثقافيًا، أم اقتصاديًا، أم غير ذلك، ويحارب كل من يدافع عن أية ناحية من نواحي الاستعمار حتى تستأنف الحياة الإسلامية بإقامة الدولة الإسلامية التي تحمل رسالة الإسلام للعالم كافة."[١٥١] والقارئ لهذا الخطاب العاطفي القوي ينتظر أن ينتقل الحزب بعده إلى الحديث عن المعارك التي سيخوضها ضد الاستعمار والجيوش التي يحركها للتخلص منه ولكنه يصطدم بعد هذا الخطاب بخطاب إنشائي ليس له علاقة بالواقع الذي تعيشه الأمة سياسيًا.

فالحزب يحدد طريقة هذا الكفاح الذي لا هوادة فيه ويحصرها في عمله على كشف خطط وأساليب هذه الدول الاستعمارية الذي"...إذا قضي على أساليبه وأحبطت خططه، أخفقت مشاريعه التي رسمت من أجلها تلك الخطط والأساليب، ولذلك كان الكفاح السياسي موجهًا للخطط والأساليب في كشفها ومقاومتها في الوقت الذي يوجه لمحاربة الفكرة السياسية وطريقتها، وعليه فإنه من المحتم على المسلمين أن يعرفوا الخطط المرسومة لسياسة كل دولة، وأن يتبينوا أساليبها."[١٥٢]وهكذا يحول الحزب كل طاقته وخطابه العاطفي باتجاه الفكر والتنظير وما يسميه كشف الخطط والمؤامرات، والسؤال هنا: حتى لو كشِفت هذه الخطط والمؤامرات عمليًا من المستعمر نفسه كما هو الحال اليوم في كثير من المشاريع الاستعمارية التي تذاع على الملأ، كيف سيغيّر الحزب هذه الخطط وكيف سيدفعها؟

أما موقف الحزب من الدول الأخرى والعلاقات معها فإن الحزب ينطلق في حديثه عنها من منطلق العداء المطلق: " والدول كلها عدوة للإسلام، لأنها تعتنق ديانات ومبادئ تناقض

---

[١٤٩] **منهج حزب التحرير في التغيير**، من منشورات حزب التحرير، ١٩٨٩م، ص١١-١٢.

[١٥٠] **مفاهيم حزب التحرير**، مرجع سابق، ص٨١.

[١٥١] **مفاهيم حزب التحرير**، مرجع سابق، ص٨٣.

[١٥٢] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٨.

الإسلام، ولها وجهة نظر في الحياة تخالف بل تناقض وجهة النظر الإسلامية، والدول الكبرى بنوع خاص تزيد على ذلك بأنها تطمع في البلاد الإسلامية."[١٥٣] وحسب الحزب فإن هذه الدول الكافرة التي تسعى إلى السيطرة على بلادنا الإسلامية تشكِّل الأحلاف والتكتلات من أجل السيطرة على المسلمين ومقدراتهم :"فمن أجل وقوف أوروبا في وجه الإسلام وجدت الأسرة الدولية من الدول الأوروبية النصرانية"[١٥٤]، أما القانون الدولي: "فأساس نشأة القانون الدولي هو أن الدول الأوروبية النصرانية، في أوروبا تجمعت على أساس الرابطة النصرانية من أجل الوقوف في وجه الدولة الإسلامية، فأدى ذلك إلى نشوء ما يسمى بالأسرة الدولية النصرانية، واتفقت على قواعد فيما بينها منها التساوي بين أفراد هذه الدول بالحقوق، ومنها أن لهذه الدول نفس المبادئ والمثل المشتركة، ومنها أن جميع هذه الدول تسلم للبابا الكاثوليكي بالسلطة الروحية العليا على اختلاف مذاهبها، فكانت هذه القواعد نواة القانون الدولي"[١٥٥].

ولذلك فإن الحزب يسعى –حسب قوله- إلى إنهاء هذه التكتلات الدولية ويعتبرها خطرًا على العالم ويرى أن تخليص العالم من شقائه "لا يمكن أن يتأتى إلا إذا عوجلت فيه هذه المشاكل الثلاث، أي إلا إذا أزيلت منه هذه العوامل الثلاثة: خرافة الأسرة الدولية، وتحكم الدول الكبرى وتسلطها، ووجود الاستعمار والاحتكار"[١٥٦]. والحزب في هذه التحليلات منسجمٌ مع ما ذكرناه سابقًا في أنه يربط كل تحليلاته بالعقيدة الإسلامية وفهم الحزب لتقسيم العالم إلى كفر وإسلام لا يمكن أن يتفقا بل إن الأصل في العلاقات بينهما هي الحرب كما يقول الحزب، والحزب بهذه النظرة يجعل من الجميع عدوًا له داخليًا وخارجيًا.

ونجد أن أحد ركائز الحزب في تعامله ونظرته إلى السياسة الدولية منطلق من تقسيم الحزب دول العالم من حيث موقعها وقوتها في جانب العلاقات الدولية بينها إلى أربعة أنماط: الدولة الأولى ومن يدور في فلكها ومن يتبعها والدول المستقلة[١٥٧] وعلى هذا الأساس :"يكون ترتيب الدول على النحو التالي: أمريكا روسيا بريطانيا فرنسا ألمانيا الصين اليابان على التوالي حيث يمكن إطلاق دول كبرى على هذه السبعة أما الهند وكندا وإيطاليا فلا تستحق أن يطلق عليها دول كبرى مع أنها هي التي تلي هذه السبعة وتشكل معها الدول العشر الأولى في العالم"[١٥٨] وعليه فإن الحزب –اليوم- يرى بأن أمريكا هي الدولة الأولى في العالم وحولها تدور الدول

---

[١٥٣] **أفكار سياسية**، من منشورات حزب التحرير، بيروت، دار الأمة، ط١، ١٩٩٤م. ص١٩.

[١٥٤] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٩٠.

[١٥٥] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٣٢-٣٣.

[١٥٦] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٥٠.

[١٥٧] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٩-٢٠.

[١٥٨] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٢٨.

مختلفة وتتبعها دول أخرى وتحاول الدول المستقلة الكبرى أن تدفع عن نفسها بقدر استطاعتها نفوذ أمريكا وسيطرتها.

أما كيف تحافظ أمريكا على نفوذها في العالم وتدفع عنها خطر الدول الكبرى؟ بالنسبة لروسيا فإنها تعمل باستمرار على أن تحجِّم دورها ونفوذها وإبطال مفعول ترسانتها النووية وحصارها، أما الصين فإنها أيضًا تسعى إلى إبقائها كسوق تجاري ضخم وعدم فتح المجال لها لتوسع نفوذها في المنطقة بأي شكل[١٥٩]

وفي محاولة الحزب لتحليل سبب قوة أمريكا وتماسكها الداخلي يقول: "حتى الأجنبي الذي يعيش بضع سنوات، ثم يأخذ التابعية، ويصبح له حق المواطنة، يصبح أحرص على الدولة والشعب ومصالحها من حرصه على موطنه الأصلي، وهذا ناتج عن القوة التي تتمتع بها البلاد في أفرادها، وفي العلاقات بين الناس"[١٦٠] وفي قراءة الحزب للمشهد السياسي الداخلي للدولة الأولى في العالم لا يلمس المرء –حسب كلام الحزب-فرقًا كبيرًا بين برامج الحزبين الأمريكيين المكتوبة ولا في السياسية المتبعة ويكاد الحزبان يسيران وفق منهج واحد ولا يحصل تغير في السياسة الداخلية ولا الخارجية حين يتم تداول السلطة، والتغيرات الحقيقية تكون فقط بسبب تبدل الظروف[١٦١].

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م
٢. أبو صقر، فخر، الحركة الوطنية الفلسطينية من الكفاح المسلح إلى دولة منزوعة السلاح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.
٣. أبو هنية، حسن. شحادة، مروان. حزب التحرير منعرجات التشكل والانشقاقات. في: حزب التحرير، الإمارات العربية المتحدة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠٠٧.
٤. احريز، وائل، تقي الدين النبهاني.. سيرته السياسية قبل تأسيس حزب التحرير، مقال منشور على موقع عربي٢١ بتاريخ ٢٠١٦/٤/٥. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٦/٨/٦. http://cutt.us/fpCYv
٥. أفكار سياسية، من منشورات حزب التحرير، بيروت، دار الأمة، ط١، ١٩٩٤م.

[١٥٩] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص١٥-١٦.

[١٦٠] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٧٣.

[١٦١] **مفاهيم سياسية لحزب التحرير**، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م، ص٧٢.

٦. البخيت، محمد عدنان (إشراف)، الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين: الإدارة الأردنية في فلسطين ١٩٤٨-١٩٥١م، المجلد السادس، عمان، جامعة آل البيت، ١٩٩٥.
٧. بلقزيز، عبد الإله، تكوين المجال السياسي الإسلامي (١): النّبُوّة والسياسة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥.
٨. بيان إلى شباب حزب التحرير صدر بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٩٧.
٩. جابر، شريف محمد، الخطاب المريض: جراحه استئصالية لأفكار سرطانية، مؤسسة يقظة فكر، ٢٠١٥.
١٠. جريدة الجامعة الإسلامية، العدد ٥١٥. ١ محرم ١٣٥٣هـ الموافق ١٥نيسان ١٩٣٤.
١١. جواب سؤال رقم ٨، ٩-٦-٢٠٠٢م، الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٣هـ.
١٢. جوهري، طنطاوي، نهضة الأمة وحياتها، القاهرة، دار الكتاب المصري، ٢٠١٢.
١٣. حلاق، وائل، نشأة الفقه الإسلامي وتطوره، ترجمة: رياض الميلادي، مراجعة: فهد الحمودي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧.
١٤. حمدان، داود، أسس النهضة، بيروت، مطابع دار الكشاف، ط٢، ١٩٥٣م.
١٥. حوار عبر الإيميل مع الدكتور أسامة الأشقر بتاريخ ٢٠١٦/٨/٧.
١٦. دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة.
١٧. ذياب، أمين نايف، جدل الأفكار قراءة في أفكار حزب التحرير حول أفكار الألوهية والقضاء والقدر والأجل والرزق والهدى والضلال والنصر والجزاء، عمان، منشورات المؤلف، ١٩٩٥.
١٨. الساكت، صالح، مذكراته، نسخة مخطوطة تقع في حوالي ٢٠ صفحة موجودة نسخة مرتبة ترتيب خاص بالباحث.
١٩. سلامة، زياد أحمد، فقيه من بلاد الشام: عبد العزيز عزت الخياط سيرة فكرية، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.
٢٠. السلايمة، أيمن ناصر، أضواء البدر في إثبات تواتر أحاديث عذاب القبر، ٢٠٠٢م.
٢١. السلمي، موسى بن وصل بن وصل الله، حزب التحرير وآراؤه الاعتقادية، (رسالة دكتوراه)، إشراف: محمود محمد مزروعة، السعودية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٧.
٢٢. السلوادي، فتح الله، رجال لقيتهم، تحقيق: عوني فارس وخليل حامد، عمان، أروقة للدراسات والنشر.

٢٣. شهادة الحاج محمد توفيق مقابلة تمت معه في شهر تموز لعام ٢٠٠٦م. منشورة على موقع "http://cutt.us/SwaOq" مرتبة ترتيب خاص بالباحث.
٢٤. صحيفة الراية، ٢٢أيلول ١٩٥٤م، السنة الأولى، العدد٨، ص٣.
٢٥. الطنطاوي، علي، ذكريات، السعودية، دار المنار للنشر، ط١، ١٩٨٥، ج١.
٢٦. عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م. الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٧. العبيدي، عوني جدوع، حزب التحرير عرض تاريخي ودراسة عامة، عمان، دار اللواء للصحافة والنشر، ١٩٩٣م.
٢٨. العسلي، كامل، التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثالث، بيروت، ١٩٩٠.
٢٩. عليان، الجالودي، التأسيس للسلطنة في الفكر الخلدوني: من إمارة الاستيلاء عند الماوردي إلى مفهوم العصبية والشوكة عند ابن خلدون، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة ١٣، ع٥١، شتاء ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٢٠٩-٢٣٩.
٣٠. عليان، الجالودي، الخليفة والسلطان: قراءة في إشكالية العلاقة بين السلطنة والخلافة، المؤتمر الدولي الثالث لبيت المقدس، رام الله، ٢٠١٢.
٣١. عوض الله، طالب، بزوغ نور من المسجد الأقصى، نص مذكرات مخطوط حصل عليه الباحث من المؤلف عبر الإيميل محفوظ نسخة عند الباحث مرتب ترتيب خاص.
٣٢. فار، مصطفى محمد، مدينة اللد موقعًا وشهرةً وتاريخًا ونضالًا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩.
٣٣. كوثراني، وجيه، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا دراسة ونصوص، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م.
٣٤. مجلة الرسالة، ج ١٤٧.
٣٥. محمود، علي عبد الحليم، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين (دراسة تحليلية تاريخية)، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٣٦. مخطوط مذكرات محمد حمدي عبد الرؤوف العريان نسخة مخطوطة مرتبة ترتيب خاص بالباحث، ومذكراته مكونة من حوالي ٢٠ صفحة كتبها عام ١٩٨٥م، في لوس أنجلوس، وهو من مواليد القدس عام ١٩٣١م، ومن الرعيل الأول للحزب.

٣٧. مذكرات يعقوب اللحام. مخطوط مذكرات محفوظ عند الباحث مرتب ترتيبًا خاصًا.
٣٨. مذكرات يعقوب اللحام. مخطوط مذكرات محفوظ عند الباحث مرتب ترتيبًا خاصًا.
٣٩. مفاهيم حزب التحرير، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥.
٤٠. مفاهيم حزب التحرير، من منشورات حزب التحرير، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م.
٤١. مفاهيم سياسية لحزب التحرير، من منشورات حزب التحرير، الطبعة الرابعة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٥م.
٤٢. مناع، عادل، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨م)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٤، ٢٠٠٨.
٤٣. مناع، عادل، النخبة المقدسية علماء المدينة وأعيانها. حوليات القدس، العدد الخامس ربيع ٢٠٠٧.
٤٤. منشورات حزب التحرير، الدوسية التكتلية.
٤٥. منهج حزب التحرير في التغيير، من منشورات حزب التحرير، ١٩٨٩م.
٤٦. منيف، عبد الرحمن، سيرة مدينة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٤م.
٤٧. نافع، بشير، الإسلاميون، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات؛ بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠.
٤٨. النبهاني، تقي الدين، التكتل الحزبي، من منشورات حزب التحرير (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م.
٤٩. النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية، بيروت، دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠٣م، ج١.
٥٠. النبهاني، تقي الدين، رسالة العرب، ١٩٥٠م.
٥١. النبهاني، تقي الدين، نظام الإسلام، من منشورات حزب التحرير، الطبعة السادسة (طبعة معتمدة)، ٢٠٠١م.
٥٢. النتشة، جواد بحر، قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي، طبعة خاصة بالمؤلف، ٢٠٠٧م.
٥٣. النتشة، جواد بحر، قراءات في فكر حزب التحرير، مرجع سابق.
٥٤. يوجه سوي، خير الدين، تطور الفكر السياسي عند أهل السنة: فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، عمان، دار البشير، ١٩٩٢م.

٥٥. يوسف، محمد خير رمضان، تتمة أعلام الزركلي وفيات عام (١٩٧٦-١٩٩٥م)، بيروت، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٢.